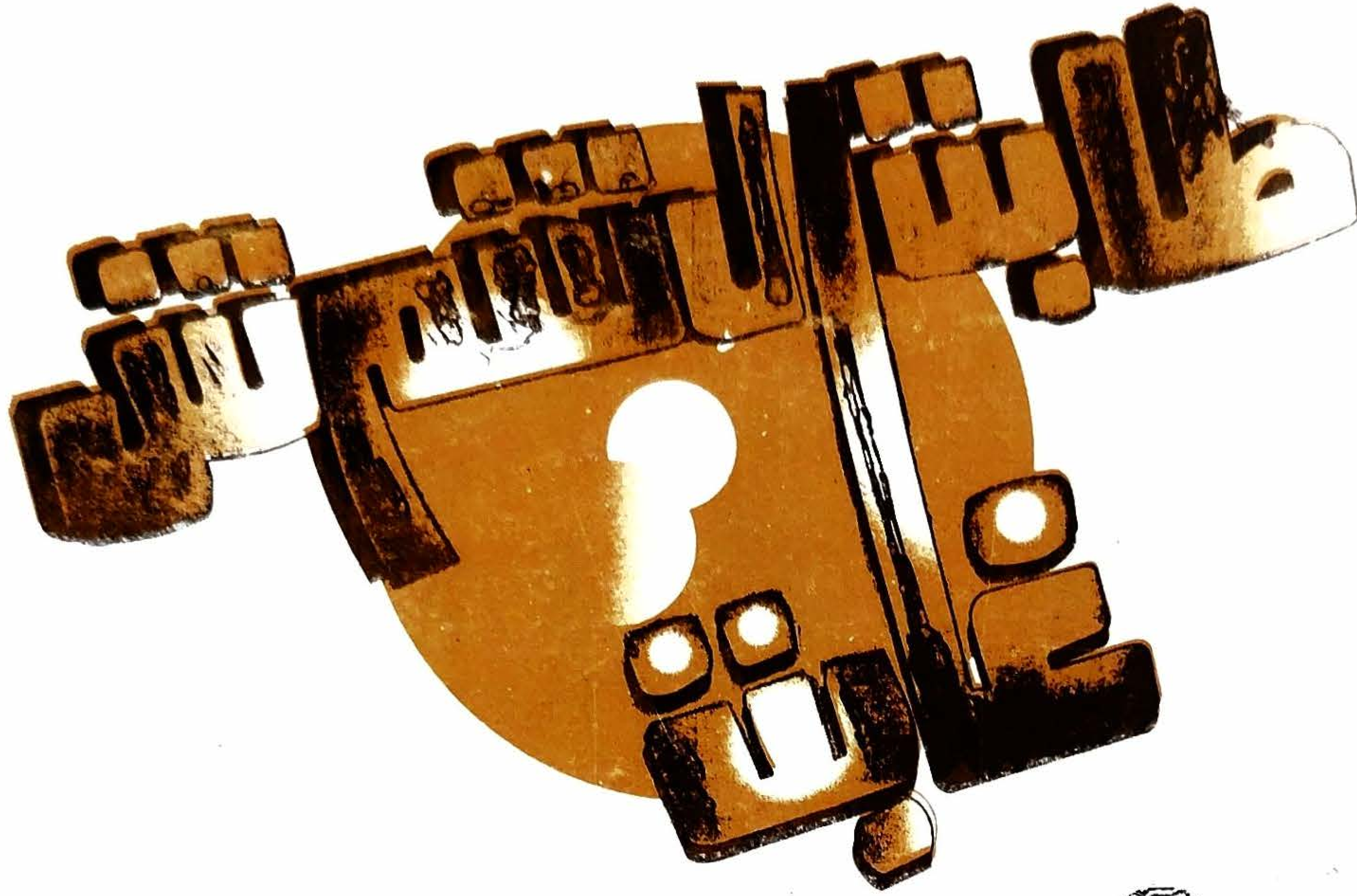
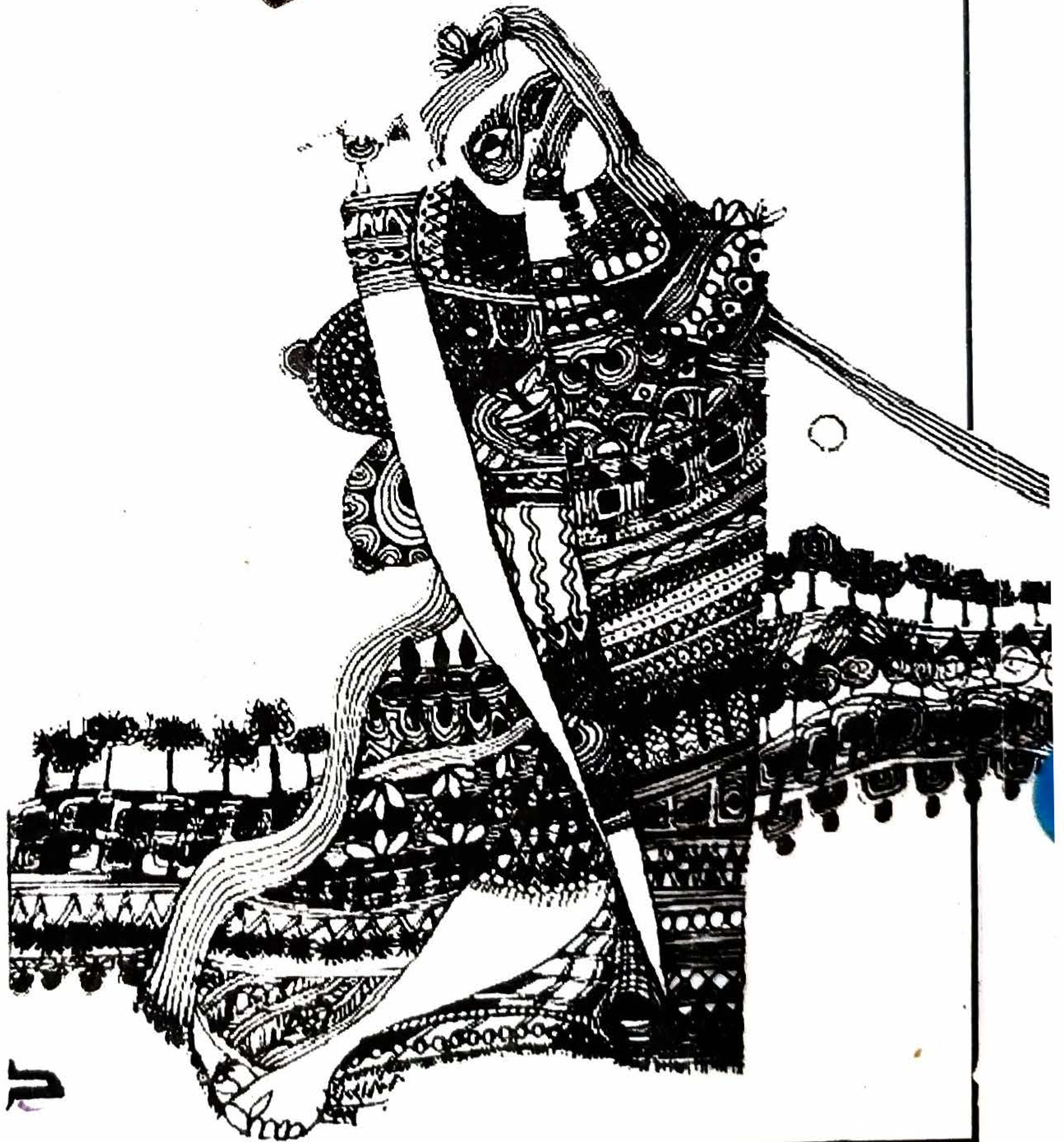




د. عبداللطيف سعيد

ومثال المخالفة بين السامية والعربية، كلمة: «شمس» فهي في السامية الأولى «شمش» كما في الأكادية والعبرية والآرمية، والمعروف لدى علماء الساميات أن الشين السامية الأم، قلبت في العربية «سيناً» وهذا من التغييرات التاريخية ، ومقتضى ذلك في العربية أن تصير الكلمة في العربية «سمس»، غير أنّ المخالفة بين السينين أدت إلى قلب الأولى شيناً.

التطور اللغوي، د. رمضان عبد التواب

بسم الله الرحمن الرحيم

طابت الشمش غابت

الطبعة الأولي
ذو القعدة ١٤١٩هـ - مارس ١٩٩٩م

الدكتور عبداللطيف سعيد

بسم الله الرحمن الرحيم

بين يدي الكتاب

بقلم الدكتور / عبداللطيف البوني

عندما ناولني الصديق العزيز الأستاذ/ عبداللطيف مخطوطة مؤلفه الذى نحن بصدده الأن ، تصفحته على عجل ومررت على عناوينه بصورة عشوائية (Randomly) فقفزت إلى ذهني مؤلفات أخرى مثل من نافذة القطار للبروفيسور/ عبدالله الطيب ومدينة من تراب للبروفيسور/ على المك وملامح من المجتمع السودانى للأستاذ/ حسن نجيلة ، فحرى بالأستاذ عبداللطيف أن يستلهم كل هؤلاء فهو أحد طلاب عبدالله الطيب كما أنه طالب وصديق لعلى المك وقارئ نهم لكل مؤلفات حسن نجيلة . ولكن بعد أن بدأت القراءة المتأنية وجدت شيئاً آخر - إضافة للخاطرة الأولى - إذ وجدت الطيب صالح وشخوصه المليئة بالحيوية ، ودالرواسي وبت مجذوب ، وعشا البايتات والشيخ الحنين ، وسيف الدين كما وجدت البروفيسور عون الشريف قاسم ومؤلفه عن حلفاية الملوك ولكنني وجدت بصورة أكثر كثافة الكاتب النيجيري جنوا أجيبى فى مؤلفه الرائع وتبعثرت الأشياء (Chinua Achipe : (Things Fall Apart ولكاتبنا عبداللطيف صلة خاصة بهذا الكتاب والكاتب فقد عمل بنيجيريا لعقد من الزمان كما أنه قام بترجمة الكتاب وعرضه على صفحات مجلة رسالة إفريقيا التى كان مديراً لتحريرها وهى تصدر عن جامعة إفريقيا العالمية لايعنى ما حشدناه سابقاً من مؤلفين وكتب أن كاتبنا لم يبتدع جديداً أو كان ناقلاً لفكر غيره ، فالحق يقال إن مؤلفنا قد أبدع وابتدع وتفرد وأجاد وكان قصدنا وضع الكتاب فى مكانه المناسب على المكتبة السودانية .

الكتاب الذى بين أيدينا اختصر فى موضوع واحد وهو قرية طابت - الأن مدينة طابت - التى تقع فى وسط مشروع الجزيرة ، ولفترة زمنية محدودة ، وهى الفترة (١٩٥٥ - ١٩٧٥م) أى عقدين من الزمان ، والموضوع الأساسى الذى يعالجه الكتاب هو " التغيير الإجتماعى " الذى طرأ على ذلك المجتمع القروى ، والتغيير كما هو معلوم هو سنة الحياة - ومن ذا الذى ياسلم لايتغير - وقد يكون التغيير للأحسن أو للأسوأ ، ولكن مؤلفنا حدد وجهته منذ أول صفحة فهو يتباكى على تلك الأيام الخوالى وأوضح عدم سعادته بما آلت إليه الأمور وتمنى لو لم تتبعثر تلك الأشياء الجميلة فأقرأه يقول : " كانت الأزقة ضيقة والقلوب واسعة والطعام بسيط والمحبة أفانين والبيوت متواضعة والناس شامخين" فالتقدم المادى الذى طرأ على حياة الناس صاحبه تراجع وتقهقر معنوى .

ومن ميزات الكتاب التى لا تخطئها العين هو إصرار الكاتب على وحدة الموضوع - طابت - فحتى شخوص طابت التى أصبحت رموزاً قومية مثل الشيخ المشهور عبدالجبار المبارك والفنان الكبير أحمد الطيب واللاعب الفنان ودالشواطين ، لم يتناولها إلا فى طابت ولم يذهب معها إلى العاصمة .

لقد سكب كاتبنا في مؤلفه بكائية نادرة ربط فيها بين الذات والموضوع بصورة رائعة فقصة حياته في تلك الفترة مسرودة في ثنايا الكتاب بطريقة تبعد كثيرا عن التقريرية والمباشرة ، كما أن الأماكن وإن شنت الأطلال - التي توقف عندها كالسوق والشفخانة والقهوة تجعلك تحس أنه يبكي علي تلك الأشياء التي تبعثرت وعلي شبابه الذي مضي مما اعطي الكتاب صدقا فنياً نادراً فاقرأ معه " هؤلاء الأشبال في الخمسين الآن وبعضهم قد تجاوزها بقليل وتراخت أجسامهم وبرزت كروشهم وشمطت شعورهم وفتر حماسهم وكلهم يقرع السن إن لم يكن زاد في تلك الخطي إذ شيع ذلك الزمان الخصيب ".

المتصفح للكتاب لابد أن يستوقفه رشاقة الأسلوب وسهولته وفن التداعيات إذ يترك المؤلف للخاطر يسرح ويمرح ثم يعود لذات الموضوع ، ففي موضوع القهوة مثلا يخرج بك إلي قهوة الشيخ هاشم ثم يعود للقهوة مرة أخري ثم يخرج إلي ثورة الإتصالات ويعود للقهوة ، ثم يتناول السياسة ويتحدث عن اليسار واليمين ويعود للقهوة ثم يدلف علي الرياضة ويعود للقهوة وفي موضوع السوق طوف بنا إلي كل أصول أهل القرية وتكوينها العرقي وأسماء الأسر .موضوع النادي قد حشد بالشخوص والأسماء وسبل كسبهم وميزات كل منهم ، أما النادي فقد جعله مسرحا تتحرك عليه عناصر الشباب آنذاك بيد أنه في المدرسة قد أوقف الموضوع تماما علـي وصف العملية التربوية وشخوصها من أساتذة وطلاب ودروس والتفاعل بين هذه الأشياء .

إستطرادا في الأسلوب لابد أن يتوقف القارئ علي دقة الوصف والقدرات الفائقة لمؤلفنا في تجسيد الأشياء والرسم بالكلمات الذي ينم علي شاعرية مرهفة فأقرأ معه :(ومازال في مخيلتي صورته وهو شاب نحيل كالسوط جميل كالغصن خفيف الظل فائض العاطفة شأن كل مبدع ، أو إقرأ كلماته وهو يصف الشفخانة: " فقد كانت عبارة عن غرفة مستطيلة صغيرة تفتح في جزئها الغربي علي برندة مفتوحة مسقوفة وفي جزئها الشرقي علي مكتب صغير يجلس عليه الحكيم ، فالبرندة مكان إنتظار المرضي وأهليهم والغرفة المستطيلة هي مكان تناول الدواء المباشر أما مكتب الحكيم فهو المكان الذي يذهب إليه المريض للشكوي ليعطي ورقة من بعد يذهب بها إلي الممرض لأخذ الدواء ".

مما يكسب المؤلف الذي بين أيدينا الكثير من الموضوعية هو إيراده لكثير من المثالب التي يعج بها الزمان الذي يتباكي عليه الكاتب ، مثل إرهاب الأساتذة وترويعهم للطلاب وإرهاب المفتشين الإنجليز وترويعهم للمزارعين والظلم الواقع علي المرأة من ختان فرعوني وحرمان إجتماعي وسلبية الأفندية بايراد المؤلف لتلك " المنغصات " يكون قد صور لنا زمانه الذي إفتقده صورة واقعية تزيد الكتاب صدقا علي صدقه.

القـــاريء للكتاب إذا كان ملما بتاريخ السودان الحديث عامة والجزيرة خاصة لابد أن يفتقد بعض الأشياء التــــــي تتبادر إلــــــي الذهـــــن ولـــــعل أهمـــــها البعد الصوفي لمدينة طابت فالمؤلف لم يتعرض له إلا

خطفا رغم إعترافه بأن : طابت هي إحدي المراكز الكبري للطريقة السمانية في السودان ، ما السبب في ذلك بعبارة أخري لماذا خلا الكتاب من ذكر مسجد الشيخ والحوليات وليالي الذكر والمداح وزوار القبة ؟

يبدو أن المؤلف أراد أن يخرج عن المألوف ويبرز الجانب الأخر الذي سكتت عنه المؤلفات التي تناولت طابت فقد أكد وبشهادة أقطاب الأسرة السمانية أن طابت كانت قائمة قبل قدوم شيخ الطريقة إليها ، وأن أهلها الأصليين" العولاب " هم الذي إستقبلوا الشيخ وأكرموا وفادته ، كما أثبت المؤلف أن طابت مليئة بالحياة والصراع والتدافع مثلها مثل كل القري التي خلت من مقامات الصوفية ، كما تناول الكاتب وبكثير من الإحترام والتقدير الكثير من الشخصيات المنتمية للأسرة الطيبية السمانية ولكن في إطار طابت فقط حتي لايخرج بالكتاب خارج النطاق الجغرافي الذي حدده .

لقد كان الكتاب كما ذكرنا قطوفا أدبية رائعة قوامها عفو الخاطر وأدب التداعيات ولكنه في نفس الوقت يذخر بالمعلومات التاريخية والرأي السياسي وعلم الإجتماع السياسي وعلم النفس الإجتماعي " التربوي بصفة خاصة " وشذرات من الإقتصاد والجغرافيا ولولا خوفي من الإطالة في المقدمة لتعرضت لكل النصوص التي تدعم ماذكرت ، وليس هذا مستغربا في هذا النوع من التأليف ومن أمثال كاتبنا ذي الثقافة الموسوعية فالرحلة من طابت إلي مدني إلي جامعة الخرطوم إلي أمدرمان إلي نيجيريا وعودة إلي جنوب الخرطوم كفيلة بشحن الذهن لاسيما إذ فشلت تلك الرحلة في ملء الجيب.

وثمة ملاحظة هامة لابد من التوقف عندها وهي أن الفترات من تاريخ السودان التي تباكي عليها كاتبنا ؟ قد لاندهش القاريء إذ قلنا أنها الفترة التي عليها الروح الإستعمارية، أراد ذلك كاتبنا أم لم يرد فالمدرسة الوسطي والنادي وفرق كرة القدم والشفخانة والحواشة كلها مؤسسات أنشأها المستعمر ولم تكن موجودة قبله وظلت كما تركها خاصة في الفترة (٥٥-١٩٧٥م) وماتدهورت تلك المؤسسات ولم ينفرط عقدها إلا بعد أن ترك الناس النمط الذي يديرها به " الخواجة " وفي

تقديري أنه قد آن الأوان أن يتناول باحثونا الفترة الإستعمارية بشيء من الموضوعية بعيدا عن الإنفعال العاطفي والفوران الوطني.

وأخيرا ليسمح لي القاريء الكريم أن أبتعد عن الموضوعية قليلا وأدلف نحو الذات قليلا وأقول أنه لم يشدني في السنوات الأخيرة كتاب مثلما شدني هذا الكتاب الرائع فقد قرأته في يوم واحد إذ تخليت له عن كل شواغلي الأخري لما وجدته فيه من متعة وفائدة في ذات الوقت ، فأنا مثل المؤلف أبن قرية من قري الجزيرة ، فالجغرافيا واحدة والتاريخ واحد وكذا النشاط الإقتصادي وبالتالي الناس ومايرتبط بهم ولكن رغم ذلك وجدت طابت تفردا أحسب أنه لامثيل له في بيادر وبنادر السودان ولعل قلم صديقنا الحصيف ركز علي هذا الجانب.

ولقد تخللتني مشاعر متباينة وأنا ألتهم أسطر الكتاب التهاما فقد كنت أرتجف خوفا من الأستاذ كمال والحكيم والمفتش الإنجليزي وأهتز طربا مع أحمد الطيب وأصفق بحرارة لفريق كرة القدم وتجولت في السوق وتمعنت أعراق أهل طابت ونشأت صداقة بيني وبين المرحوم حميدان وطفرت الدموع إلي عيني عند ختان إبن المرحومة الروضة وتمايلت نشوة مع البنات وهن يغنين " أصبر خليهو" . وأشهد أن كاتبنا قد تقرب لقريته بسفر عظيم سيجعلها تغفر له بعده عنها وهجره الإضطراري لها وليت كل أبناء القري " المهاجرين " قد فعلوا بعاطفتهم وحنينهم كما فعل استاذنا الدكتور عبداللطيف سعيد..

الدكتور عبداللطيف البوني

اللعوته - الرأي العام (حاطب ليل)

الإهـــــــــداء

* للأخ البروفسير عبدالرحيم علي - جامعة إفريقيا العالمية - الذي طالما أهدي إلينا ولم نهد له شيئا .

ونقول له إنها طابت وليست طيبة.

وأنه ربما يدهشه أنها تموج حضارة !

* للصديق الأخ عبدالمحمود سليمان محمد (فداسي الحليماب - المدينة عرب - مدني الثانوية - جامعة الخرطوم)

نهدي له هذا " الجزء " من " كل " الجزيرة الذي يحب، محبة وعرفاناً

* للأخ الدكتور الجراح أحمد الأمين الشيخ (مستر أحمد) (مستشفي ود مدني - جامعة الجزيرة) ... أحسن سوداني كما قال لي عنه صديقه وزميله دكتور مأمون محمد علي حميدة وكما أقول

* لخالي محمد النور عيسي (أبو العول) مودة في القربي

عبداللطيف سعيد

مارس ١٩٩٩م

شكر وتقدير

للأخ الدكتور حسن مكي الذي رعي كل عمل قمت به ..وللأخ الدكتور عثمان أبوزيد الذي احتفي بالكتاب حفاوة تشبه نفسه الحفية . ولابن الأخ خالد موسي دفع الله الذي شجع وآزر ودفع بالكتاب دفعات للأمام ، وللأخ عمر إبراهيم الطيب الذي كان العين البصيرة الناقدة من خلف هذا المؤلف .

وللخال حسن النور عيسي الفنان التشكيلي المعروف الذي صمم الكتاب وصنع غلافه بذوق وشفافية ودراية .

والأخ بكري الأحمر بطابت الذي وافانا بالصور المطبوعة داخل الكتاب من مختاراته الخاصة وللأخ بشير البدوي الذي أعان في ذلك .

والشكر كذلك للأخ الفنان (عبدالرحمن) (بالنافذة) الذي نفذ الغلاف والصور باحكام وإبداع.

كما نشكر الإخوة محمد علي رحمة وسعيد عبدالفتاح وعثمان إدريس الذين قاموا بالجمع التصويري.

والشكر من قبل ومن بعد لله رب العالمين مولي النعم ومسديها ..

المحتويـــــات

الصفحة	الموضـــــوع	
أ ، ب ، ج ، د	بين يدى الكتاب	بقلم الدكتور عبداللطيف البوني
هـ	الإهــــداء	
و	الشكر والتقدير	
١ - ٤	المقدمة	بقلم المولف
٥ - ٢١	المدرسة الأولية	
٢٢ - ٢٩	القهوة	
٣٠ - ٣٥	الشفخانة	
٣٦ - ٣٨	حميدان ود عبدالله	
٣٩ - ٤٥	البخيت ود علي ومستر دور	
٤٦ - ٦٤	النادى	
٦٥ - ٨٢	المدرسى الوسطى	
٨٣ - ٨٨	ناس السوق	
٨٩ - ١٠٤	السوق	
١٠٥ - ١٢٠	تلك القرية (بعض أهلها)	
١٢١ - ١٢٧	خدمة اجتماعية	
١٢٨ - ١٣٣	الفكى النور	
١٣٤ - ١٣٨	المهاجر الأول	

مقدمة :-

طابت ... طابت ... الشمش غابت

هكذا كان يصيح الكماسرة ومساعدو السائقين في مواقف عربات ودمدني والحصاحيصا يستحثون المسافرين إلى طابت لتعجيل الركوب.

وقد اخترت هذا الاسم عنواناً لهذه المقالات من أسماء كثيرة لطابت فهي كثيرة الأسماء كثيرة العشاق.

اخترته لأن طابت التي أنا بصددها قد غابت شمسها حقاً ، فقد اندفنت في ركام توالي أيام الزمن الدؤوب الذي لا يمل الدوران ولا يفتر عنه ولا يبقي على جديد ولا جميل.

إنها طابت في المدة من عام ١٩٥٥م إلى عام ١٩٧٥م ، حيث كان كل شيء على ما يرام ، كان الناس فيها يعرفون الناس والبيوت والأصوات والأصداء والظلال . ولم يكن أحد على طريقته ، بل كان كل الناس على طريقة واحدة هي طريقة المحبة والإلفة والتزاور والشعور العميق ببعض.

كانت الأزقة ضيقة والقلوب واسعة والطعام بسيط والمحبة أفانين والبيوت متواضعة والناس شامخين.

كانوا يلبسون ملابس متقاربة ويأكلون أكلاً متشابهاً غنيهم وفقيرهم ، ويتكلمون لغة قروية لم تؤثر عليها الإذاعة و لم يؤثر عليها الإختلاط بالغرباء ولا موظفي الحكومة الوافدين.

كانت للحقول التي تحف بالقرية روائح طيبة لا يشمها أنفي اليوم ، مع أن المزروعات إلى اليوم هي هي . وللقمر ابتسام ضاع من عيني وللترعة خرير ضاع من أذني وللأشباح مع المساء اضطراب يحدث في كياني جيشاناً لا أدري أين قد ذهب الآن ؟

لقد كانت بلدتي نغماً حلواً عميقاً يجعل من فيها في حالة من الطرب تشمل أيام حياته كلها . كأننا قد اقتطعنا قطعة من بغداد الرشيد لم تدس عليها خيول التتار أو ومضة من أيام الأندلس التي لم تصل إليها محاكم التفتيش.

كنا جميعاً شعراء من يقول الشعر منا ومن لا يقول . وكنا جميعاً عشاقاً من يدور حول الأطلال منا ومن لا يدور . وكنا جميعاً منشئين ننشيء من الخيال شيئاً لا يشبه ما ينشئه الآخرون حتى أن كثيراً منا عندما خرجوا للحياة خارج نطاقهم أنكروا الناس وأنكرهم الناس ، فقد كان بعض الناس يتعامل مع هؤلاء الملائكة بتعامل الحدادين ولقد جرحت شفرات الحدادة أفئدة بعضنا ومن ثم لم يفلح في صراع لم يكن قد أعد له أصلاً.

كأن الناس في هذه القرية قد نسوا أنهم نزلوا - كسائر البشر - من الجنة . وأن الأرض التي أصابت أباهم آدم بإغماءة الأربعين عاماً لم تصبهم ... نعم لقد أغمي على آدم لما نزل إلى الأرض من نتنها بعدما كان يتمتع بِشَمِّهِ من عبير الجنة .... أم تراهم قد شموا عرار نجد ملياً فما زكمت أنوفهم بعد أبداً:

تمتع من شميم عرار نجد ** فما بعد العشية من عرار

أين قد ذهب صوت (الديب) المؤذن الذي لا يحاكي ؟ ولماذا لا تقول قرعات طبول الذكر كما كانت تقول أو يخيل إلينا أنها كانت تقول:

" رز وعدس .... رز وعدس ... كباية سمن ... كباية سمن " ؟!

وأين طعم رمل الضريح الذي كنا نسفه وهو يشبه طعم الجوافة في فم إنسان مزكوم ؟ ولماذا كان يكتفي الناس في زمن البرد بلبس قميص قصير وسروال ، وهو لبس العام كله ، يزيدون عليه بأن يشبك كل أحد ذراعيه بعضهما في بعض ليستدفيء ويكفيه ذلك ويدفيه ؟

لماذا كان الطعام أشهى ؟ ووجوه الناس أكثر أنساً وإشراقاً ؟ والموت أكثر إبكاءً والزواج والختان والحج والأعياد وعودة المسافرين أكثر شحذاً للفرح.

كـان كثـير مـن أولاد القريـة يذهبـون إلى المـــدارس الداخليـة ولا يستقرون فيها لأنهـــم يريـدون الرجـوع إلى القريـة في كـل وقـت . وقـال بعضهم أنه لا ينام الأسبوع الأخير من الفترة الدراسية التي تسبق الإجـازة يستحث الأيام أن تحمله إلى هناك كأن أي وجـود لـه خـارج القريـة يعـد استثناءً.

وليس ذلك لأن القرية أنعم من الداخليات ، فقـد كـانت داخليـات ذلـك الزمان كثيرة النعم ، ولكن موئـل الفـؤاد يئـول إليـه الفـؤاد ولـو لم يكـن ناعماً:

وما ذاك من نعمي لديك أصابها ** ولكنّ حباً ما يقاربه حبّ

سمع أحدهم هنا أحد المغنين يقول:

السـلام يا روح البـدن * يا غصين النقـــا يا لدن

كيف عيوني الليلة إنعسن * وانت ساكن بدل الوسن

قال على البديهة ، و لم يكن متعلماً و لم يخرج من القرية قط:

(كيف يغني هذا و كيف يعشق ... هل رأى فلانـة ؟) فالدنيـا عنـد هـذا القروي كلها طابت والنساء كلهن فلانة.

المؤلف

المدرسة الأولية

المدرسة الأولية التى تقع في الجزء الجنوبى الشرقى من طابت بنيان قديم فهى قد أسست عام ١٩٣٧م ، وكانت أول مبدأ أمرها في بيت شيخ البلد الشيخ أبوالحسن ثم انتقلت إلى السراية في الجزء الشمالى من البلدة ومكثت هنا وهناك حوالى العشرة أعوام . وبنيت في مكانها الحالى حوالى عام ١٩٤٨م ، إذ أن أول دفعة انتقلت اليها كانت الدفعة التى دخلت الأولية عام ٤٩ - ١٩٥٠م. ولا بد أنها حينما بنيت في ذلك التاريخ كانت في ظن أهل البلد وكأنها قد بنيت في الخلاء ، لأن الحلة الجديدة الحالية بكاملها لم تكن موجودة وكل مبانى اليوم التى حولها لم تكن قد أقيمت بعد. وأتصور أن التلاميذ حينما يأتون إليها من (طابت القديمة) كانوا يشعرون أنها قد وضعت في نهاية الدنيا !

والمدرسة الأولية تصميم بسيط ، وضعه مهندس بريطانى كان لايريده أن يكلف (حكومة السودان) ... ويقصدون بذلك التعبير (آلة الحكومة الانجليزية التى تحكم السودان) ... أى تكاليف باهظة !

وقد راعى ذلك المهندس ضرورة مرور الهواء في ذلك المبنى بحرية وهو يصمم لبلد تصل درجة الحرارة فيه الأربعين درجة في الصيف وقد تزيد .

هذا اذا علمنا أن هذا التصميم تصميم معمَّم على كل المدارس الأولية ذات الأربعة فصول في كل السودان آنذاك .

والتصميم قائم على مربع فوقه مثلث ، تكون فيه قاعدة المثلث هى نفس الضلع الأعلى للمربع ، ولايخفى أن هذا الشكل مستوحى من شكل القطية . فجعل المهندس هذه القطية (إن صح التعبير) في جهة وقطية أخرى مماثلة لها في جهة أخرى (واحدة في الشرق والأخرى في الغرب) وربط مابين هاتين القطيتين بناء مفصل هو كل المساحة المبنية وهو حوالى ثلاثين متراً . والبنيان كله من الآجر (الطوب الأحمر)

وسقفه بعروق من الخشب متعارضة وبارزة بشكل متين وجميل وعملى ، ومن فوق هذه الشبكة الخشبية المرئية ، ألواح الاسبستوس الذى لايشبه مانراه منه اليوم ، فهو ثخين وثابت وراسخ ولونه كلون الملح المبلول .

والجدار لا يتصل بالاسبستوس مباشرة إذ ان بين السقف والجدران مسافة إذ لا يتصل السقف إلا باجزاء من الحائط عن طريق هذه الشبكة من الأعواد الخشبية الضخمة الراسخة . وعروق الخشب مثبتة بزبر من الحديد وصواميل غليظة من الصلب كأنها قد جئ بها الساعة من نيوكاسل !

والسقف هيكل وطيد كأنه يقول للأطفال الذين يستظلون به : "لا عليكم يا أبنائى فإنى هنا لأصد عنكم غوائل الرياح والصواعق والأمطار والنوازل ، مادامت سواعد هذه العروق الجبارة تسندنى من تحتى ! "

وأبواب ونوافذ المدرسة من خشب ثقيل أسود لا يخيل إليك أنه مطلى بهذا اللون بل إن هذا اللون هو لونه الأصلي وكأن الجنَّ قد قطعته من غابة مسحورة ليبنى به سيدنا سليمان بناء فزاد بعضه عن الحاجة فأرسل من هناك إلى مدرسة طابت الأولية لأبوابها ونوافذها !

والمدرسة مكونة (ونبدأ من الجهة الغربية) (لأنَّ البنيان يمتد شرقاً وغرباً) وعلى افتراض أنك من الجهة الجنوبية ووجهك إلى الشمال : تتكون المدرسة وأنت في ذلك الوضع من الآتى : -

السنة الأولى ، وهى تمثل القطية الغربية التى تفتح شرقاً ، تليها منحرفة إلى الشمال السنة الثانية ، وهذا الانحراف وفر برندة طويلة تنتهى في وسط البناء تماماً بمكتب كبير مقسوم بخط وهمى : الجزء الجنوبى منه للمدرِّسين والجزء الشمالى منه للناظر . وبعد هذا المكتب تمتد برندة بنفس طول البرندة الأولى لتفتح فيها السنة الثالثة التى يتجه بابها كباب السنة الثانية جنوباً ، بينما تكون القطية الوهمية الثانية التى في الشرق وتفتح غرباً هى السنة الرابعة . لاحظ وأنت في وضعك الذى افترضنا أنك قائم فيه

تبدأ السنة الأولى من يدك اليسرى . وذلك شئ طبيعى بالنسبة للخواجة المصمم لأنه يبدأ من اليسار في كتابته وفى حركته كلها .

ولاغرو فإن الحركة في بريطانية الى اليوم - بخلاف كل الدنيا تقريباً - تسير نحو اليسار . تلك إذن هى كلُّ مكونات هذه المدرسة الأم التى ظلّت تخرج الأجيال منذ حوالى ستين عاماً .

وقد مررت عليها في الشهر الماضى وأنا أزور صديقى وزميلي محمد صالح حامد ، مديرها الحالى ، والذى تعلم فيها ، وقد وجدتها قد ردّت الى أرذل العمر وتردت حالتها إلى درجة مخجلة ، وأصبحت كالجدَّة العجوز الزّمنة التى أهملها أولادها وأحفادها العاقون وتركوها عرضة للجوع والمرض وهم من حولها يتلامعون شِبعاً وريًّا وعافية ونكران جميل .

وشكا لى الأستاذ المدير من أن أحداً لا يهتم بدفع أموال الصيانة لهذه المدرسة العريقة ، وتكلمنا في ذلك أنا وهو وقلبنا الأمور في ذلك .

ثمّ تجاوزنا الحاضر الكئيب . وقلت له : إننا قريباً سنثرى بعد أن يتدفق البترول ووصيتى لكم هى أن تبقوا على هذا التصميم العملى التاريخى المتين الذى أصبح جزءاً من أفئدتنا ، إذا وضعت الأموال الطائلة في أيديكم فيما بعد وخيرتهم بين صيانتها وتهديمها .

دخلت هذه المدرسة عام ١٩٥٦ تسبقنى حجارتى التى حصبت بها لجنة القبول وأنا طفل صعب شموس .

إذ دخلت على اللجنة المكونة من العمدة والأعيان فقالوا لى أنك صغير ويجب أن تبقى في البيت عاماً آخر قبل أن تقبل في السنة الأولى فما كان منّى إلاّ أن خرجت كالسهم من بينهم وملأت طرف جلبابى بالحجارة ، وأنا أبكى ! وجعلت أرجم اللجنة رجماً متتابعاً عنيفاً لاهوادة فيه وأنا أقول : "تقبلون ابن فلان الذى فى حجم البعرة وتمنعونى أنا ؟!!

أذكر أن أبى الذى كنت في صحبته قد هَـمّ أن يبطـش بى لـولا أن منعـه العمـدة السمانى والحاج بابكر عبدالقادر دكين عليهما رحمة الله وإذا بالعمدة يأتى إلىّ مخترقـاً صواريخ أحجارى وهو يتبسم قائلاً : "مادمت راغباً في المدرسة إلى هذه الدرجـة ... فتعال فقد قبلناك ! .

وبدأنا الدراسة ، وفى مخيلتـى إلى الآن أننـى وجـدت متعـة أو قـل لـذة عميقـة لا استطيع وصفها وآمل أن يكون بعضهم قد وجدها فى تلـك المرحلـة كمـا وجدتهـا ، لأن المتع كما يقول الإمام الغزالى لا تفهم بالوصف وإنما تعرف بالتجربة .

كانت تلك المتعة قد حدثت لى ساعة تمكنى من كتابـة الجيـم مضافـة إلى (ال) في كلمة الجمل ... لأن اليد تتحرك بذلك إلى أمام ثم إلى خلف ثم إلى أمام وقد حاولت ذلك مرات كثيرة قبل أن أضبط كتابتها على الوجه المطلوب ولما تمكنت منها شـعرت بفرح غامر اكتنف قلبى الغرير جعلنى أشعر وكأننى قد فتحت الهند والسند ورومية !

كانت العمامة أول ما يقابلنى مـن مشـاكل الصبـاح وأنـا متوجـه نحـو المدرسـة . لأننى لم أكن أعرف كيف ألفها . ذلك أن الزى المدرسى لتلاميذ المدارس الأولية قـد كان الجلباب الأبيض والعمامة . وقد كانت أمى هى أول من لفّ لى تلك العمامة ثـم علمنى كيف ألفها فيما بعد !

وإن أنسى لا أنسى صوت رئيس الفصل (الألفة) وهـو ينـادى علـى أسمائنـا فـإذا اسمى يقع على هذا الترتيب :-

حيدر حمزة السمانى

جار النبى موسى

عبداللطيف سعيد

وثلاثتنا الآن ... كل في طريق ...!

وكنا مرة في غاية السرور والدراسة في أسابيعها الأولى الى أن كان يوم مـن الأيـام جاء فيه أحد زملائنا في الفصل مصطحبـاً أخـاه الصغـير الـذى عمـره حـوالى الثـلاث

سنوات . وكان ذلك بعد فسحة الفطور . واستمر الدرس فإذا بالفصل كله يسد أنفه إذ انبعثت رائحة كريهة من جهة ذلك الطفل الصغير الذى كان فى معية أخيه التلميذ، ذلك أن الطفل قد أحدث في الكنبة ! ولا تسل عما فعل استاذنا بزميلنا الصغير؟!

كان درسا "النملة الشفوقة" و "صديق الطيور" من الدروس التى شغلت بالى وغار أثرها في نفسى في السنوات الأولى للمدرسة الأولية .

ذلك أن "النملة الشفوقة " كما يقول الدرس هى التى ساعدت ابراهيم لما انكسرت رجله . و"صديق الطيور " كان رجلاً طيباً يطعم الطيور ويسقيها وينثر لها الحب وكانت تحط على كتفيه وأمامه بطريقة مؤثرة في النفس ، كما هو مبين في الصورة المصاحبة للدرس .

وتمر الأيام ويموت الرجل "صديق الطيور " ويحمل جثمانه والطيور تتبعه إلى قبره.

لقد كان ذلك مما قد كبر في نفسى جداً حينها! وكذلك عمقّ الاستاذ فى نفسى انسانية الممرضة فلورنسَ ... ثمّ إن استاذ التاريخ قد جعل من قصة "الشاه" الذى بنى "التاج محل" تخليداً لذكرى زوجته "ممتازة " مشغلة ليلى ونهارى .

وتمضى الأيام وما يعكر علينا صفو مراحنا إلاّ الفريق الطبى المهيب الذى يأتى إلى المدرسة مكوناً من رجال طوال حليقين صارمين ، يلبسون الشورتات البيضاء ويضعون على رءوسهم القبعات الثخينة ويلبسون الأحذية الثقيلة وتنبعث منهم رائحة الديتول والأدوية ... رائحة الرعب ... وفى أيديهم ... فى أيديهم الحقن ، حقن "القراحة" ، تصحبهم معدات كالقدور بيضاء صقيلة كأنها الغلايات وهم كالقدر ... شرَّهُ ... إذا اطبقوا على المدرسة .

ولا يبارحوننا إلاّ وقد انتفخت الأيدى وحمت الأجسام وانصدعت الرءوس بالوجع ... وتمضى اليومان والثلاثة قبل أن يعود الاتزان لأجسامنا ومن ثم نرجع إلى جنتنا الصغيرة مرة أخرى .

جئت في يوم من الأيام أعدو إلى أبى وقلت له أن يعطينى شلناً ، فلما سـألنى عـن سبب ذلك الطلب ؟ قلت له إن :(السلما) قد جاءت إلى المدرسة وقد طلبوا إلينا دفـع شلن لمشاهدتها . وقبل أن يدفع لى الشلن قال لى : إنها ليست (السـلما) كمـا تقـول بل هى:(السنما) ... وكبرت ودرست اللغة الانجليزية فإذا هى بنون كما قال أبى...!

كان بيتنا قريباً جداً من المدرسة فهو فى الجهة الجنوبية من المدرسة مباشرة وكنت لا أخرج إلى المدرسـة إلا بعـد أن أسمع الجـرس ... وقـد كـان لذلـك ميزات ولكـن كذلك كانت له أضرار ! من تلك الأضرار أن التلاميذ فى مرة من المرات ضاقوا ذرعاً بالسوط الذى كان شيخ على بخيت يجلدهم به جلداً شديداً ... فسرقوه ثم قذفـوا بـه إلى سقف بيتنا . وافتقد الاستاذ السوط وسأل عنه فأخبره بعض من كان يراقب : أن فلاناً وفلاناً قد قذفوا بالسوط في المكان الفلانى . فنادانى الاستاذ : وتلك بالطبع مِنّـة ومفخرة . وطلب إلىّ أن أحضـر السـوط مـن رأس بيتنـا وتلـك بـالطبع مهمـة عزيـزة وشرف كبير ... فوثبت أشتدُّ في طلـب السـوط . وجـئ بالجماعـة فـأذاقهم الاسـتاذ ألوان العذاب من لسان ذلك السوط .

ولكننـى - فيمـا بعـد - ذقـت عذابـاً آخـر "خـارج نطـاق القـانون" كمـا يقـول المحامون، جعلنى أفهم أن ليس كل المهـام التـى توكـل إلىّ مـن قبـل الاسـتاذ هـى منـة ومفخرة وشرف فحسب ، لكنها أيضا يمكن أن تكون (علقة) ساخنة من ثمانية تلاميذ أشداء في ركن قصى لامنقذ فيه ولا مغيث ...!

صادف فى سنة من السنين ونحن في السـنة الثالثـة الأوليـة أن كـان سـوق البهـائم قريباً جداً من الجدار الشمالى للمدرسـة وفـى أثنـاء الـدرس والأسـتاذ يشـرح ، سمعنـا صفيراً عالياً فصمتنا وصمت الاسـتاذ . ولأمـر مـا ظـن الاسـتاذ أن ذلـك الصفـير قـد انبعث من فصلنا وأنه (تصفير صعلكـة) ولم تُجْـدِ مـع الاسـتاذ كـل وسـائل الضراعـة والإقناع والايمان المغلظة من أننا لسنا الذين صفرنا وإنما الصفير ربما خرج من فـم راعٍ

لبهائمه فى السوق القريب من نوافذ فصلنا . وفى ذلك اليوم جلدنا جلداً أليماً وأبقينا في الفصل وحرمنا من الغداء .

وأرسلنى مرة أحد المدرسين لاحضار "صعوط" . وأذكر إلى اليوم أن "الحُقّة" كانت علبة مدورة غطاؤها فيه مرآة صغيرة . ووضع لى الاستاذ على هذه المرآة (فرينى) - (ابوقرشين) ... فذهبت وأحضرت له ما طلب ، لكننى أخفيته فى كم جلبابى وأخرجته له منه . فاندهش الاستاذ لذلك وسألنى عن سبب أخفائى "للصعوط" فقلت له ببراءة :

"لأن السَّفة ... كعبة " ... !

فما كان منه إلاّ أن نادى المدرسين الآخرين فضحكوا منى ومن سذاجتى ... !!

وقد كنا ضمن فرقة الأناشيد ... نلحن الأناشيد ونؤديها وأذكر أنه كان معى : كمال منصور مناع ، أنور الطيب محمد خير ، أبوالحسن محمد حمد ، محمد أحمد محمد عمر (دياب) وعمر الذى اشتهر باسم عمر قمارينا ، لأنه لحّن ويؤدى نشيد قمارينا بطريقة خاصة جميلة .

والنشيد يقول : قمارينا ياقمارينا ... قمارينا فانزلى فينا

وفى السنة الثانية الأولية لفت نظرى الأمين الطيب الدابى لأنه كان فى حصة المطالعة يعرب أواخر الكلمات مظهراً الفتحة والضمة والكسرة بينما كان الجميع بما فيهم الاساتذة يقرأون بالتسكين .

والأمين الطيب الدابى هو ابن عمنا الطيب الدابى الذى ظهر اسمه فى كتاب حسن الطاهر زروق الذى أسماه (أبونافورة) وقد كان ينتقد فيه أحداث الفكى أبونافورة التى ظهرت في منتصف الستينات في القضارف .

وعمنا الطيب الدابى معروف "بنضاله" فى مجال المزارعين وله علاقات بكبار المناضلين وخاصة شيخ الأمين محمد الأمين وحسن الطاهر زروق .

كان لنا قريب اسمه حسن لم يكن يحفظ سور القرآن وكان التسميع فى يوم الأربعاء من كل أسبوع... وحينما يأت الميعاد ويجئ دوره ويطلب إليه الاستاذ قراءة السورة من حفظه يقول : "فندى ... الأربعاء الجاية ... !" ولم تجئ تلك الأربعاء أبداً... واستراح الرجل من ذلك بعد أن ترك المدرسة وهوالآن سائق محترم .

ومن ضمن تلاميذ فصلنا تلميذ من ضواحى طابت القريبة . قرر ترك المدرس لأن الاستاذ أعطانا نشيداً يقول :

أنا الصبى الصغير   أنا فتى المستقبل

فلما طلب إليه الاستاذ قراءة النشيد أبى . واحتج قائلاً :-

"أنا راجل ... أنا ما فتى !

وفهم فتى بمعنى فتاة ... وهى في النشيد تنطق كما تنطق في الدارجة يصفون بها الفتاة . وخرج من الفصل ولم يعد للمدرسة بعد ذلك مطلقاً ...

وقد كان ظن الناس فى المدارس في ذلك الوقت أنها تتلف رجولة الأولاد ... !

ولقد كان لمدرستنا ناظران ثبتا فى ذاكرتى وهما شيخ ابراهيم وشيخ ابراهيم . أما الأول فهو ابراهيم محمد احمد رحمه الله والد الصحفى الكبير سعد الدين ابراهيم. وهذا عندما كان ناظراً لم أكن قد دخلت المدرسة الأولية بعد . إذ أنه نقل من طابت فى الإجازة الكبيرة التى بعدها دخلت السنة الأولى الأولية . ولكن علاقتى بهم كانت قد نشأت من الجوار إذ أن بيتنا كما ذكرت قد كان قريباً من المدرسة . وقد كنا أول من سكن في تلك المنطقة النائية بعد تخطيط البلد الذى كان عام ١٩٥٥م وعوضنا هذه الأرض التى عليها بيتنا إلى الآن .

كان سعدالدين ابراهيم وأخوه معتصم ابراهيم واختهما سميرة لايفارقون بيتنا وكنا نلعب معاً .. على أن سعدالدين قد كان أكبر منا قليلاً . وكانت والدتهم امرأة طيبة كريمة تبرنا وتحترمنا - وما أقل الناس الذين يحترمون الأطفال وما أكرمهم ! - وكان أبوهم نعم الأب عليه رحمة الله .

وبقى فى ذاكرتى من كلام معتصم ابراهيم أن "ود أب نجمة " قد خنقه حتى طرش . وواضح من كلام معتصم أنه كلام إنسان غريب على طابت فمن من أهل طابت لايعرف "ود أب نَجمْ "-حتى يقول عنه ود أب نجمة ؟!

ومما بقى فى الخاطر من ذكراهم ... يوم وداعهم .. الذى فارقوا فيه طابت نهائياً... وقد ارتسمت في مخيلتى الصغيرة صورة اللورى (أو البص ...؟) الذى أحضروه وركبوا فيه ووداعنا لهم أنا وابن عمتى عبدالباسط عبدالعزيز الذى كان أكبر منى قليلاً وبنت عمتى صفية وأختى قوت القلوب لسعد الدين ومعتصم وسميرة ووداع أبى لأبيهم وأمى وعماتى لأمهم .

لقد كان فراقاً أليماً ... وكان وداعاً حاراً عاطفياً !

والتقيت بعد ذلك في جامعة الخرطوم - كلية الآداب في (الون أو تو) بمعتصم إذ كنا قد قبلنا في الجامعة في سنة واحدة ... ولم أره بعد السنة الأولى وما أدرى ما فعل الله به ... وأرجو أن يكون خيراً .

أما الناظر الثانى أو ابراهيم الثانى - إن شئت - فقد كان رجلاً من عرب دارفور أبيضاً يلبس جلباباً على غير ما اعتدنا في المدرسين والنظار في ذلك الوقت .. وقد كان فقيهاً وأحسبه كان يحفظ القرآن الكريم .

والذى كان يهمنا منه فى تلك السن هو ابن أخيه أو ابن أخته - لا أدرى - الذى كان يسكن معه واسمه على إذ قد كان في سننا وكنا نلعب معاً . ومن الأشياء الغريبة التى لفتت انتباهى في على هى أننا عندما نأكل معه كان يضيف إلى الملاح (الإدام) شطة وسكراً ويزعم بأن الأكل بذلك يكون أشهى وألذ !!

وقد كان خال على هذا .. أو عمه .. هو ناظرنا ونحن في السنة الرابعة وهى السنة النهائية في الأولية وهى السنة التى يجلس في نهايتها الطلاب للدخول للمدرسة الوسطى .

ولسبب ما رأى شيخ ابراهيم ان ثلاثة من طلاب فصلنا يجب ألاّ يذهبوا مع بقية طلاب الفصل للامتحان في المسلمية (إذ لم تكن في طابت بعد مدرسة حكومية وسطى فمدرستنا التى بنيت قبل عامين من ذلك التاريخ ١٩٦٠ ما تزال أهلية وبالتالى لم تكن مركزاً للامتحان) .

وقد كان هولاء الطلاب الثلاثة هم : محمد أحمد محمد عمر (دياب أو ماو فيما بعد) وجار النبى موسى والحاج موسى . وقد كان جار النبى والحاج متوسطى المستوى .

أما (دياب) فقد كان أول الفصل منذ أن دخلنا السنة الأولى إلى نهاية المرحلة في السنة الرابعة و لم ينتزع منه الأولية أحد غيرى وقد كان ذلك مرة واحدة في السنة الثالثة . وحتى حينما أكون الثانى يكون بجموعه أكبر من مجموعى بحوالى أربعين درجة . ولذلك كان قرار الناظر بالنسبة (لدياب) قراراً صعباً .

ذهبنا الى المسلمية وجلسنا للامتحان ودخلنا المدرسة الوسطى . لكن دياب وصاحبية طلب إليهم الناظر أن يذهبوا إلى (جبيت) في شرق السودان . وسافر الثلاثة البائسون كل تلك المسافة ليجدوا أن مواعيد الامتحان لجبيت الصناعية قد فاتهم . وبالتالى فقدوا فرصة الدخول للمدرسة الوسطى التى دخلناها وفرصة الدخول لصناعية جبيت التى فرضها عليهم الناظر .

وقد كان وقع ذلك على قلب أولنا التلميذ النجيب (دياب) غير ماكان وقعه على صاحبيه . إذ أن (دياب) لم يكن الأول فحسب بل كانت كراساته تُمرَرّ على الطلاب ليروا نظامها وجمالها وتجويد العمل ودقته فيها .

ثم إن دياب وهو فى تلك المرحلة كان شاعرناومؤلفنا وقصاصنا فهو الذى يؤلف القصص والحكايات والأشعار بل والتمثيليات . إذ ألف تمثيلية أسماها (الجزار) يخاطب فيها الجزار زبائنه بالشعر ويرد عليه الزبائن شعراً كذلك . وكان من أشهر أبياتها التى مايزال التلاميذ في طابت إلى اليوم يتناقلونها :

علّموا الجزار علّموا الجزار   جابو ليه السكين ختوا ليه الفرّار

وهى ملحنة بأغنية "ابراهيم عـوض " "لـو بعـدى بيرضيهُ " التى مـلأت دنيـا الناس وقتها وشغلتهم . ومثلت تلك المسرحية في ليالى السمر في المدرسة مراراً ونـالت إعجاباً كبيراً فى البلد .

هذا التلميذ النجيب لم يحتمل أن يقذف به هكذا خارج خطه المرسوم فـى التعليـم فيحرم من الدخول للمدرسة الوسـطى ولايجـد حتـى مـا اضطـر إلى قبولـه : المدرسـة الصناعية . وحزّ ذلك فى نفسه وحنق على الناظر وكره الحياة .

وفى يوم من الأيام ذهب ورقد فى قضيب قطار القطن الذى يمـر بالجهـة الجنوبيـة من البلدة قاصداً الانتحار. ولطف الله به إذ استطاع سائق القطار إيقاف القطـار مـن مسافة قريبة وبصعوبة وفى آخر لحظة قبل أن يدهسه .

دخل دياب السوق بخيبة أمله والتحق بخدمة ابـن عمتـه الخيـاط عمـر كـبر ليتعلـم الصنعة وفعلاً لذكائه أجادها فى سنة .. ولكنه أعاد الكـرة ودخـل المدرسـة الصناعيـة وتخرج وهو الآن قد أصبح (كبير الطحانين) (Chief Miller) فى مطحـن كـوز كـبرو بعد أن اكتسب هناك اسمه الجديد الذى أصبح مشهوراً به وهو (ماو ..) .

ياترى ما كان عسى (دياب) أن يكون لو لم يكن ذلك القانون الغريـب موجـوداً في ذلك الزمن وهو حرمان الأولاد الكبار من الدخـول للمدرسـة الوسـطى ... ذلـك سؤال يشغلنى إلى الآن ... ؟

من أشهر من درسنا في المدرسة الأولية الأساتذة : شيخ الطيب وهو من الحلاويـن وشيخ على بخيت من ود السيد وقد درسنا سنين طويلة وكان قريبـاً منـا ولـه مواقـف مذكورة . وشيخ مبارك رحمة الله . وقد كان بنـا حفيـاً وبنـا رحيمـاً نسـأل الله لـه المغفرة والرحمة .

وشيخ هجو من النيل الأبيض وكان شاباً متحمساً مخلصاً لعمله ثـمّ شيخ ابراهيم الطاهر .. وأذكر أنه أهدى الى جلابية لأنى كنت الوحيد الذى دخل إلى المدرسة الوسطى من فصلى دون أن أعيد .

وكانت بالقرب من مدرستنا المدرسة الأولية للبنات و لم نكن نعرف عنها شيئاً ونظنها عالماً معقّماً خاصاً مقفولاً .. لا ندخل إليها إلاّ ونحن مرسلين من قبل الاساتذة... وكانت تقابلنا المدرسات (المشلخات) الصارمات اللائى كن يأتين من رفاعة خاصة . وأذكر أنهن كن أنظف من نساء قريتنا وأكثر تحضراً وأشدّ لوماً وأبهى فى أعيننا وكأن النظافة والسطوة والتعليم قد أكسبتهن هذه النضارة الخاصة !

ولقد كانت لى مع هذه الذكريات البهيجة ذكريات أخرى مؤلمة سأروى طرفاً منها هنا:

كنت في ليلة من الليالى أذاكر و لم تكن الكهرباء قد دخلت إلى طابت بعد . فقد كانت أدوات المذاكرة هى : تبروقة (بساط من سعف النخيل) ومصباح جاز أبيض (كيروسين) كانت التبروقة توضع على الأرض ويوضع على طرفها المصباح .

مضيت أطالع وأنا جالس على ذلك البساط مستضيئاً بذلك المصباح ثم قمت من مكان المذاكرة وأنا حافٍ نحو حائط الحوش . وما كدت أبارح جهة الحائط حتى شعرت بأن فى رجلى برودة شديدة كأن أحداً قد وضع قطعة ثلج في باطن رجلى ، وقبل أن ينقضى عجبى من تلك البرودة المفاجئة انقلبت تلك البرودة جمرة تصلى مكان الثلجة إصلاء ثم مالبثُ أن اكتنف الألم جسمى كلّه يحتويه ويهزه هزًّا لا اسيطر عليه .. وتحت وطأة الألم الرهيب صرخت بصوت عالٍ ...!

فهرعت إلى عمتى آمنة رحمها الله وهى كانت أمى بعد أمى وقبلها . وتقاطر الناس وانثالوا من بيوت الأهل القريبة فى دقائق وسمعت أحدهم يقول : "الولد ... لدغ ... إنّها العقرب ... !". وجاءوا بخرقة وربطوا الرجل من فوق ربطاً محكماً .

وأخذوا المصباح الذي كنت أطالع علي ضونه وجاءوا بعد قليل بالعقرب مقتولة ، ولقد كانت في طولها قريبا من ثلاث بوصات ، ظهرها أسود شديد السواد وشكلها مخيف ، وارتاع الحاضرون من منظرها وسمعت النسوة يقلن : " الله يستر عليك باوليدي .. دي ماكانت كاتلاك ... ! ".

وجاء جارنا المرحوم محمد أحمد الحداد ، وهو من العبيدية من جهة بربر وجاءت معه زوجه الرحيمة الروضة بنت مختار ، وكان ود الحداد شديد الرأفة يغلف ذلك في غلالة من عنف ، إذ أن الرجال في ذلك الزمن كانوا يعدون إظهار الشفقة ضعفا ، فأمر بإحضار ليمونة فكسرها في " كراع العنقريب " وأمرني بمصها حتي تفسد السم .

وقد كنت في ذلك العهد أكره الليمون ومايفعله من إضراس لأسناني ولكن عمنا " ود الحداد " لم يكن يسمح بهذا النوع من الرفض (الطري) للعلاج وهددني إن لم أمص الليمونة بالضرب ، فمصصتها كلها ، ثم لم يلبثوا أن جاءوا بعد قليل بشاي مر قد غلوا فيه حب شاي كثير فأصبح ألعن من الليمونة .... وجرعوني هذا العلقم الجديد بالنهر والتهديد ، ثم حملوني .. أظن أن التي حملتني كانت عمتي آمنة ، وقد كان عمري حينئذ حوالي الثمان سنوات ، واتجهوا بي نحو الحكيم ، وجلسنا في طرف من أطراف الشفخانة انتظارا لود الأحمر حكيم القرية .

وفي أثناء الانتظار كانت رجلي تهتز اهتزازا قويا من أثر السم ، وأنا أتلوي من الألم وأبكي وأنظر ناحية بيوت جدتي لأمي كأنني أبحث عن مزيد حنان . ويبدو أن ذلك لم يعجب أبي فقال لي : " لماذا تنظر إلي تلك الجهة .. إنهم لن يأتوا إليك اليوم.. فكن رجلا ... ! وجاء ود الأحمر بعد التي واللتيا .. وإنتظار الحكيم مشكلة ومجيئه مشكلة .

ولم يخيب الحكيم ظني وماتوقعته من معالجته القاسية ، فكان أول شيء فعله هو أن فصد مكان اللدغة بشفرة من شفراته الرهيبة ، ثم عبأ حقنة وطعنني بها في عضلة كتفي ، فكان المشرط والحقنة عقربين آخرين أضافهما إلي العقرب الأولي !

ولم تمر بى بعد ذلك تجربة بهذه المرارة إلاّ بعد ذلك بأشهر . إذ كنت ألعب بالكرة في حوشنا ، وقد كان أبى يضع حزماً من أعواد القنا على طرف جدار الحائط فى الأرض ، وأنا فى غمرة الإنهماك مع الكرة ، حاولت أن أضرب الكرة فأخطأتها وضربت رأس عود من تلك الأعواد فدخلت منه شظية كبيرة في أصبع رجلي اليمنى الكبير تحت الظفر ... ولك أن تتصور مثل هذا الألم وأن تتخيله ... ولك أن تتخيل كيف أُخرج الحكيم ذلك العود إخراجاً وكيف تعامل مع الجرح ثم لك أن تستنتج ما تجرعت من غصص ذلك الألم العظيم !

وثالثة الأثافى كانت في يوم عيد وأنا أرفل في جلبابى الأبيض الجديد الذى كانت له سوارات وياقة .وكان فى جيبى ريال كامل .

فبدلا من أن أذهب في الفسحة المعتادة التى كان الصبية في القرية يمضون إليها وينعمون بها في الأعياد وهى ركوب عربة (الكندة) إلى وادى شعير لزيارة سراية (فلمى) والتى قد أسميت على الخواجة الانجليزى **(Phelming)** الذى كان مفتش ذلك المكتب، وهى سراية تلتف أشجارها وتغرد طيورها وتصفق جداول الماء فيها ...

كان الأطفال يركبون في (الكندة) بلا عدد ولاحساب بعضهم على المقاعد وبعضهم في الممر وبعضهم فوق بعض . وعادة ما يقود (الكندة) المساعد وليس السائق الأصلى . ويكون المساعد دائماً صغير السن نزقاً يجرى بالكندة جرياً مخيفاً على الحال التى يحبه ركابه الصغار فى ذلك اليوم . يجرى بهم وهم يتصايحون ويصفقون ويقولون : " انصر دينك ياسواق ... انصر دينك ياسوّاق !!"

وأنا لم أكن أحب هذه العبارة وأنا صغير و لم اكن أرددها معهم لأنى كنت أعتقد أنها كمثل سَبّ الدين!

قلت : بدلاً من أن اذهب فى هذه الفسحة المعتادة ؛ قررت فى ذلك اليوم أن أستأجر دراجة من الطاهر العجلاتى .

وذهبت إليه ودفعت له ريالى كله - وقد كان الريال ثروة طائلة - وأخذت الدَّراجة وأنا (منتفش) .

وقد كنت حديث عهد بتعلم قيادة الدراجة ... فأخذتها ومضيت بها كأحسن مايكون الحال وأنا في غاية المتعة والإنتشاء . ورأيت أن أحسن مكان أذهب إليه فى ذلك اليوم هو الساحة الواقعة فى شرق المقابر ، لأنها واسعة ولأنه لن يعكر صفوى فيها أحد ولن يطلب منى أحد أن أعطيه (سحبة) من الدراجة .

وكانت الساحة رائعة حقاً وواسعة حقاً وممهَّدة حقاً ... فجريت بالدراجة هنا وهناك وهنالك .. وشعرت بروح العيد تملأ قلبي وكياني .

ولكننى أحسست فجأة وأنا أدوس على البدَّال أن الدراجة لا تمضى كالمعتاد .. فنزلت منها ونظرت فإذا جنزيرها قد وقع .

لقد تعلمت كيف أقود الدراجة ولكنى لم أتعلم قطُّ كيف أرجع الجنزير الواقع إلى مكانه ، وحاولت مرة ومرة فلم أفلح ... والجنزير مزيّت بزيت أسود ... وتلوثت يداى بالزيت الأسود ؛ ودون أن أشعر وقعت بقع كثيرة منه على جلبابى الأبيض الجديد ... ياحسرتى عليك ياجلبابى الأبيض الجديد!

وحاولت مرة أخرى ارجاع الجنزير إلى مكانه فرجع جزئياً وتحركت الدراجة شيئاً ما وأنا على الأرض أدفعها بيدٍ وأعالج الجنزير باليد الأخرى ، ولكن الجنزير لفّ اصبعى السبابة معه في دورته و لم تقف الدراجة التى كنت أدفعها باليد الأخرى إلاّ بعد أن شدخ الجنزير إصبعى شدخاً منكراً ... مع الألم الشديد انتابنى خوف شديد... "ماذا أقول لأبى لوسألنى عن هذا الجرح؟ " وماذا أقول له لو سألنى عن اتلاف جلبابى بالزيت الذى لا يزول بالغسل ؟" .

ثم إن وقتاً طويلاً قد ضاع بالفعل فى اللعب بالدراجة ثُمَّ فى اصلاحها وقد نسيت وأنا منهمك فى كل ذلك أن العجلاتى قد قال إن مدّة ايجار الدراجة هى ساعة واحدة ...!

وفيما يلى سأروى خبراً طريفاً مما أتذكر من شئون المدرسة الأولية يرد عن القارئ بعض مايكون قد أصابه من كآبة الأحداث الثلاثة الأخيرة .

ذلك أنه كان معنا في المدرسة تلميذ أبوه شرطى . وكان ذلك الولد طويلا مجتمع الأعضاء قوياً وكان إلى ذلك أكولاً . وكان يحب الزلابية حباً غريباً . ولا أدرى من أين كانت تتأتى له تلك القروش التى تمكنه من شرائها بتلك الكمية الضخمة . فقد كانت الزلابية كل أربع بتعريفة وأظنه - إن لم تخنى الذاكرة - كان يشترى حوالى عشرين قطعة وذلك معناه أنه كان يدفع للمرأة بائعة الزلابية مبلغ قرشين ونصف . وذلك مبلغ كبير ، لو استطاعه أحد يوماً فمن العسير أن يستطيعه كل يوم كما كان الحال مع صاحبنا .

فكانت البائعة تضع له قطع الزلابية في صحن كبير وتذر عليها السكر الابيض المسحوق فكان منظره فى عين الأطفال الجياع من حوله وهم خارجون لتوهم إلى فسحة الفطور مشهياً جداً . فكانوا يلتفون حول ابن الشرطى ذاك ويطلبون إليه أن يعطيهم من زلابيته ، فكان يقطع قطعة صغيرة فيعطيها هذا وقطعة صغيرة أخرى ويعطيها ذاك وثالثة لتلميذ ثالث . فلما يشعر أن الطلب قد تكاثر عليه وأن زلابيته لامحالة ستتسرب إلى أيدى سائليه لو استمر فى هذا العطاء ؛ أفرغ كتبه القليلة فى حجره حتى تخلو شنطة كتبه المصنوعة من قماش الدمورية ثمّ ... ثم .. أهوى بصحن الزلابية إلى داخل شنطة الكتب القماشية حتى إذا استيقن أنّ الزلابية قد دخلت كلها فى الشنطة قذف بالصحن الفارغ فى وجه مطارديه وربط رباط شنطة الكتب على رقبته بعد أن أدخل فمه وكل وجهه إلاّ عينيه فى الشنطة وجعلها له كمخلاة الحمار. ويجرى ويطارده من لا يزالون يعشمون فى عطائه فلا يلحقونه لقوته وشدّة حُضْره ثم يبدأ فى أكل الزلابية من شنطته (مخلاته) كما يأكل الحمار عليقه !

قبل نحو سنة أو سنتين وأنا أجلس مع أبى فى غرفته المنفردة عن بقية المنزل فى طابت إذ أطل علينا رجل عرفته بصعوبة وبعد لأى وتمعن ... كان ذلك الرجل هو

صباح الخير الأمين وهو من جهة الدامر . كان أول مبدأ أمره في طابت في أواخر الأربعينات وبداية الخمسينات يعمل سقاءً . ثم مالبث أن التحق بخدمة المدرسة الأولية فراشاً على أيام ناظرها العظيم المرحوم ابراهيم محمد أحمد .

و لم يكن صباح الخير ممن يصنعون الأحداث ولكن وجوده في المدرسة لما يقارب الأربعين عاماً كان في حد ذاته حدثاً . فأنت من خلال قسمات وجهه الراضية وضحكته الصادقة ونبرات صوته الرصينة وصبره الجميل ولزومه باب رزق واحد دون انقطاع كل تلك المدّة ... كل ذلك يجعلك تتذكر أحداثاً وأحداث .. كأنه شريط فلم، لا يكون شيئاً خاصاً إلاّ إذا أدرته على آلته وظهرت صورته وسمعت أصواته وتتابعت حركاته.

كان صباح الخير يتكلم مع أبى فى شئون حياته بعد أن ترك العمل وسافر إلى الدامر ... كان هو وأبى فى (الهنا والآن) وأنا بعيد قد هربت بأوهامى إلى الخمسينات حينما كان (صباح) شاباً فتياً يعرى ظهره للسياط فى الحفلات ويقفز كالرمح في زواج بعض من شاخ وبعض من مات ...

كان (صباح) كالشريط أداره حديثه مع أبى وكنت كمن يراقب شاشة ذلك الشريط البيضاء الناصعة التى لا تخطئ شيئاً ولا تغفل شيئاً .

هل أيام الطفولة قطعة من نعيم الجنة نزل مع آدم إلى الأرض ليسعد بها الانسان سعادة علوية مؤقتة ريثما يقوى ويغلظ ويكثف ليتساوى قوة وغلظة وكثافة مع الحياة التى لا بد له منها والتى لابد لكى يحياها أن يتسلح فيها بكل تلك الأظفار والمخالب والأنياب ؟

القهوة

وهناك تقبع قهوة عوض السيد وبالقرب منها عربات بدائية تحمل الفواكه وحولها باعة قصب السكر وعربات الركاب الكبيرة تطلق أبواقاً حانية تستكن في جوف المساء وفي شغاف قلوب المسافرين والمودعين والمستقبلين.

يجلس هناك على القهوة شيخ هاشم مختلطاً بطبقات الشعب وهو عالم ضليع ، يشركهم في علمه وعقله ويمازحهم ويستطيب مجالستهم.
لقد كان معلماً للشعب فبعد أن حفظ القرآن والمتون وأصبح من اصحاب الفتوى إختار أن يجلس للناس في هذه القهوة وغيرها من مجالسهم يعلمهم تارة في جد ويمازحهم تارة في لطف ويقارضهم أشعار الدوبيت وينشيء لهم أشعاراً عامية في مدح النبي ويدفع بها إلى أنداهم صوتاً ليؤديها قاصداً بذلك أن يلتفت القرويون عن الغناء الذي فتن كل الناس في ذلك الزمان إلى مديح النبي صلى الله عليه وسلم.

وكان سريع البديهة فكهاً . حضرت طعاماً صنعه له خالي عبداللطيف فضل الله وهو من تلاميذه ودعاه ودعاني ... وكان هذا التلميذ من شغفه بأستاذه يضع طيبات اللحم أمام الأستاذ ويقول : " هذا لحم الشيخ " ولاحت النكتة في ذهن الشيخ فأطلقها وهو يتمتم وكانت له تأتأة خفيفة حلوة : " ليس هذا لحم الشيخ ... هذا لحم الخروف" !

وكان الشيخ على وداعة منظره ووقاره وقفطانه ذا قوة بدنية هائلة ، يخفيها تهذيبه وعلمه وأريحيته فقد قالوا أنه ما من أحد في القرية كلها استطاع الوقوف أمامه في المصارعة في أيام الصبا سوى رجل واحد من الخشماب - إحدى قبائل القرية الرئيسية - هو الأمين ود الشيخ أبو الأطباء والمهندسين كما وصفهم شاعر طابت الأول أزهري عبدالرحمن

أطبا مهندسين ورجال عيونهم فيها موية العد

وفي مرة من المرات إجترأ أحد السائقين المشهود لهم بالقوة وفورة الشباب وكان سكراناً على مجلس العلم في القهوة وتلفظ بكلام جارح فأمسك الشيخ بيده بقوة خارقة أمسكه بيد ويده الأخرى في الإشارة والتدريس فانكسر هياجه وجلس على الأرض راغماً ثم ما لبث أن اعتذر وتاب وهو يقول : " لو لم أجلس لتفتت يدي مزعاً من قوة قبضة هذا الرجل ، فوالله ما رأيت أقوى من شيخكم هذا قط " . كل ذلك والشيخ كما قال ابن الرومي يصف المغنية وحيداً:

لا تراها هناك تجحظ عين * لك منها ولا يدّرّ وريد

تتغنى كأنها لا تغني * من سكون الأوصال وهي تجيد

وفي فترة متأخرة من الخمسينات وبداية الستينات كان يشرف على قهوة عوض السيد هذه شاب أصفر نحيل صارم القسمات يفيض أريحية وشهامة هو مضوي قسم الله وقد كان عاد لتوه من طلب العلم في أم درمان ثم في مصر.

كان يدير القهوة لصالح عوض السيد الشايقي الذي يعرف الناس في طابت فضله وإنسانيته وقد توسم في مضوي خيراً وامانة واستقامة . و لم تكن القهوة في ذلك الزمان منتدى المتبطلين والسفهاء بل كانت مكاناً جامعاً فيه الأنس والتسلية وهو كذلك مكان لإبرام العقود الفردية الصغيرة إذ فيها يوجد العمال الزراعيون والبناؤون والنقاشون وأصحاب الحرف المختلفة فيأتي إليهم الناس هناك ليأخذوهم لأداء هذه الأعمال في مزارعهم وبيوتهم.

كما أنه كانت بها بروش طويلة لأداء الصلوات وخاصة صلاة المغرب . وبها كذلك أهم أداة من أدوات التسلية والتثقيف في ذلك الزمان ألا وهي الراديو . إذ لم تكن ثورة الترانسستر قد انطلقت بعد . تلك الثورة التي وفرت الأجهزة الرخيصة الشعبية السهلة التحويل التي يمكن أن يحملها الإنسان في يده وجيبه أو يدرعها على عاتقه . فالراديو كان كبيراً جداً وله موضع معلوم من القهوة وصوته مجلجل مهيب والناس تجتمع إليه لتسمع منه.

هذا و لم تعرف القرية السينما إلاّ ما كان من السينما المتحولة التي تأتي للقرية في فترات متقطعة متباعدة وبالطبع لم يعرف الناس بعد هذا الجهاز الساحر الذي جعل الناس يستقرون في بيوتهم ويكتفون ذاتياً من الإعلام والتسلية.

فالقهوة إذن كانت هي العوض عن كل ذلك.

ولعل مصر قد عرفت القهوة بمعانيها الممتدة قبلنا وقد نكون قد جئنا بالقهوة بشكلها ذاك من هناك.

ولا أتصور مضوي خريج الأزهر أو دار العلوم وهو يدير قهوة عوض السيد إلاّ وفي ذهنه أفكار الإمام الشهيد حسن البنا وهو يختلط بجمهور القهاوي في مصر يخاطبهم مباشرة ولا يستنكف.

وحتى قبل أن يذهب إلى مصر كان مضوي قد نهل من كتب التراث والفقه وكان هو وصديقه عبداللطيف فضل الله وصلاح المدني ومحمد سليمان فضل الله ومحمد عمر الخضر ومبارك النور قد كونوا خلية للأخوان المسلمين وقد كان حاضراً ربما في ذهنه أفكار أن العمل عبادة وأن داؤد عليه السلام كان يأكل من بطش يده.

والآن بعد أن دار الزمان دورته أنظر إلى مضوي وقد وصل الستين أو كاد ويتضح لي أن آمال شبابه وأحلام تلك الأيام كانت أوسع من محيط القرية الصغير ومفاهيمه المعلومة العسيرة الإختراق.

وهو عندي جندي مخلص لم يكسب المعركة ولكن جراحه المثخنات تنبيء عن بسالة وتصميم وشجاعة.

كانت جماعة مضوي إذا جاز لنا أن نطلق عليها هذا الاسم تضادها جماعة أخرى لشبان يساريين هم جماعة كريم الدين ولكني أنظر إلى التيار اليساري في السودان على أنه تيار أفرزته ظروف تلك الأيام . فقد كان الاستعمار البريطاني يضغط على الشعب وكان المثقفون يكرهونه وبرز لهم الإتحاد السوفيتي ترياقاً لهذا السم البغيض فاتجهوا إليه

ربما بحسن نية ثم إن المثال الديني السياسي في السودان آنذاك لم يكن كله جاذبا للمثقفين ببطئه وتماوته وتمسكنه وانحيازه أحيانا إلي جانب المستعمر ، هذا إذا لم يظن بعض المثقفين خاصة ممن جاء من مصر أن أحباره كانوا يأكلون بآيات الله ثمناً قليلاً .

نرجع إلي القهوة ونقول إنه كانت توجد بها شجرة ظليلة في سط باحتها يجلس فيها الأصدقاء إلي بعضهم وتدور فيها المناقشات الحماسية عن مبارك زروق ويحيي الفضلي وحماد توفيق وأيهما أبلغ في الخطابة محمد أحمد محجوب أم الشريف حسين الهندي (سياسة ذلك الزمان) وإذا خلت الشجرة من ذلك يجلس تحتها من يودون الخلو إلي أنفسهم ليديروا مع أنفسهم نقاشا داخليا خاصا فنجد الواحد منهم يضع يده تحت حنكه ويتأمل أو ينكت الأرض حتي إن الناس سموا تلك الشجرة بشجرة (المحنة).

ولقد كان يأتي للقوة عصرا الشبان الظرفاء من النجارين والممرضين وصغار الموظفين ومعلمي الكتاتيب (صفوة ذلك الوقت) وهم في أبهي حللهم يفوح منهم طيب الصاروخ ممسكين بالسجائر بأيديهم اليسري يتجاذبون أطراف الحديث في نقاش غير مملول حول الأهلي والعمال أو يتكلمون بالرموز عن الخطيبات والحبيبات ويكاوي بعضهم بعضا وهم يحتسون أكواب الشاي باللبن الاسطوري الذي كان يأتيهم به الجرسون المشمعل الذي يقطع عليهم بنات أفكارهم ورومانسيتهم بمناداته علي المطلوبات من الشاي والقهوة.

كل ذلك قبل أن يتعلم الناس في طابت نومة بعد الغداء التي تستمر إلى قريب من مغيب الشمس.

فقد كان الناس يحومون منذ الرابعة ويتزاورون ولقد كان وقتاً جميلاً بهيجاً رائقاً أضاعته حركة الحياة القوية القاسية الحالية.

وبعد مضوي أدار القهوة عبدا لله جانقي وهو شاب جعلي من جهة الدامر رأيته أول ما رأيته وهو يغني على طريقة ود السافل (العجب العجيب يوم الخميس زاتها : مرتبة من جهنم بي مخداتها) .

ثم رأيته بعد ذلك وهو يبيع الفازلين والجاز من على عربة كارو طويلة مزوقة ينادي على بضاعته نداء الفنانين:

الفازلين يا بنات الفازلين

وبعدها كان يبيع الفاكهة وأذكر أنني أشتريت منه شروة لا أنساها وهي أننا في عام ١٩٦٦م عملنا إضراب في مدرسة مدني الثانوية أيام كان الناظر فيها هو الأمين محمد أحمد كعويرا الذي كان يدير المدرسة بروح جنرالات الحرب العالمية الثانية وقرر كعويرا أن الطلاب لا يعودون إلى المدرسة إلاّ بعد أن يجلد كل طالب عشر جلدات أمام ولي أمره.

وقد شغلني ذلك الأمر وحكيته لجانقي فأقنعني أن التفاح فاكهة تقوي القلب واشتريت منه وأنا مقبل غداً على مدني تفاحاً بقسطيرته مكتوب عليه (تفاح لبناني) آملاً أن يقوي قلبي حتى لا أتضعضع أمام أبي وأنا أجلد في مدني . وبالفعل أكلت التفاح وذهبت مع أبي الذي وقعّ عني وعن قرشي محمد مسرور وعبدا لله أحمد المصطفى المقلي ومحمد

صالح حامد وتبين لي وأنا أصبر للسعات السوط العشر الفرق بين من أكل تفاح حانقي ومن لم يأكله !!.

ولم يكن ذلك هو كل النشاط الموجود في القهوة بل كان بها لقاءات تلقائية فيها أو حولها أو بالقرب منها وعلى نفسها إذ يمكنك أن تلتقي ببعض الفقهاء من فقهاء القرية التقليديين الذين بدأوا يحسون بأن نوعاً جديداً من أنواع التعليم قد بدأ يؤتي ثماره فكنت ترى الشريف عبدالمحمود وكمال الدين الشيخ محمد وأخاه الأكبر أحمد محمد البشير وهم يجادلون طلاب المدارس الحديثة وغالباً ما يكون الجدال حول أدلة كل فريق حول ميقات الصوم والفطر في رمضان وبعده . أو تحدي طلاب المدارس بإعراب جملة أو الطلب منهم تفسير بعض الأشعار أو قراءة بعض الفقرات الأدبية . وبعد أن تبين لي الخيط الأبيض من الخيط الأسود من فجر الفهم صرت أعجب لاستعلاء طلاب المدارس الذين كانوا بلا ذخيرة سوى أنهم هم الذين تلقوا التعليم المعترف به آنذاك وأنا الآن آسى لأولئك الفقهاء الحقيقيين الذين كانوا في القرية ممن قرأوا على الطريقة المسجدية الرصينة وهم يناقشون الأجيال الحديثة الفارغة باحترام لا تستحقه.

وأذكر إلى الآن أن ابن عمي عبدالباسط عبدالعزيز عندما قبل بمعهد طابت العلمي وقبلت بالمدرسة الوسطى كنت أدل عليه وكأنه لا يدرس وقد كنت أسخر من كتبه التي صرفت له وهي : الأجرومية وحاشية الصفتي والأخضري وهو يطويها على هون في حين كنت أفتخر عليه أنني صرف لي الأن أم بي والريدر والكمبانين.

ولو أنني استقبلت من أمري ما استدبرت لبادلته الأمكنة وليتني قرأت في تلك المرحلة الأجرومية والحواشي إذن لكنت وفرت على نفسي وقتاً وجهداً طويلاً بذلته فيما بعد وأنا كبير ولكنني وعبدالباسط كلانا كان مخدوعاً كنت مخدوعاً أحسب أن بضاعتي المزجاة ثمينة وكان هو مخدوعاً يحسب أن بضاعته الثمينة مزجاة.

هذا وبراءة القرية على أشدها إذ أنه في مجلس من مجالس العصر كان الراديو في القهوة يبث أغنية لإبراهيم عوض وكان من المفروض أن يأتي إبراهيم عوض في نفس تلك الليلة للغناء في النادي والقرية كلها كانت تنتظره على أحر من الجمر فما كان من أحد رواد القهوة في ذلك الزمان البريء النقي ألاّ أن قال : " زولكم إلى الآن يغني في أم درمان وأنتم تنتظرونه ليغني لكم بعد مغيب الشمس .... حموا وصروا " !
وظل جانقي يدير القهوة حتى إنها أخذت اسمه فكان الناس يقولون قهوة جانقي.

وبعد سنين وسنوات تغير قدر القهوة كما تغيرت أقدار روادها واشتراها أحد الأثرياء من التجار الدناقلة وحولها إلى متجر . فسئل ملك الفكاهة في طابت عوض أبرق عما آل إليه حال القهوة فقال : إن كان هناك قرية اسمها شلعوها الخوالدة فقهوتنا هذه
" شلعوها الدناقلة " !

الشفخانة

قالوا إن شفخانة طابت قد بدأت في الثلاثينات في أحد سرايا المديرين الزراعيين لمشروع الجزيرة التي حول طابت وانتقلت منها إلى مكتب العمارة كاسر قبل أن تستقر أخيراً في الأربعينات في طابت نفسها.

والذي يؤرخ للشفخانة في ذلك الزمان لا تخطيء عينه بساطة معداتها ومحتوياتها فلقد كانت عبارة عن غرفة مستطيلة صغيرة تفتح في جزئها الغربي على برندة مفتوحة مسقوفة وفي جزئها الشرقي على مكتب صغير يجلس عليه الحكيم.

فالبرندة مكان انتظار المرضى وأهليهم والغرفة المستطيلة هي مكان تناول الدواء المباشر أما مكتب الحكيم فهو المكان الذي يذهب إليه المريض للشكوى ليعطى ورقة من بعد يذهب بها إلى الممرض لأخذ الدواء.

فالحكيم ود الأحمر كان يلبس شورتاً وقميصاً من الكاكي مع جوارب طويلة وحذاء أسود متين كالذي يلبسه العسكريون ويضع على رأسه قبعة سميكة على نفس الهيئة التي رأيناها جميعاً في الصورة المصاحبة لدرس " طه القرشي في المستشفى " التي كانت في كتاب المطالعة القديم.

أما مبارك الفكي علي فقد كان يلبس قميصاً أبيض وشورتاً أبيض ويلبس صندلاً أو باتا ويضع على جيب قميصه إشارة التمريض المعروفة ورأسه مكشوفة غالباً.

لا تشك وأنت تنظر إلى الرجلين أن ود الأحمر هو الرجل الأول وأن مبارك هو الرجل الثاني.

فود الأحمر في سن والد مبارك تقريباً وفي جسمه المديد ووجهه الصارم الحليق وانضباطه وقلة حديثه واعطائه للأوامر بشكل حاسم موجز ما يجعلك تهابه بل وترتعد وأنت مقبل عليه ولقد جاء بعد ود الأحمر حكماء أشهرهم كرار والسر وأبو وجاء بعد مبارك ممرضون أشهرهم ود العوض ومعروف وفضل ا لله الطيب والمنقوري .

ولقد كانت مقابلة الحكيم في ذلك الزمان كمقابلة نكير . وخاصة بالنسبة للأطفال . والطفل وهو يساق إلى الحكيم يعلم أن الأمر مهما كان هيناً فلن ينتهي إلا بجرعة مرة من جرع الدواء الكريه التي كانت تعطى في تلك الأيام أو بنظافة قاسية للجروح أو بأشنع ما يتصور طفل بحقنة تجعل صياحه يملأ الغرفة الصغيرة مما يجعله عرضة للضرب من مرافقه الذي غالباً ما يكون أباه أو أمه أو خالته أو عمته أو أحد أقاربه وذلك سهل . ولكن الأصعب من ذلك أن يتعرض للإنتهار أو الضرب من الحكيم نفسه. خاصة إذا حاول الطفل مقاومة إيصال الدواء أو المشرط أو الحقنة إلى جسمه.

وإن أنسى لا أنسى ذلك الكوب المصنوع من الطلس الأبيض المطرقع في طرف من أطرافه وله يد صغيرة وإلى الآن لا أتصوره ألاّ وأتصور البشاعة والنفور النفسي العميق الذي ينتابني من جهة مرارة الأدوية التي كنا نقسر على تجرعها منه أو الطعوم التي تدعو للإشمئزاز من

ذلك الشيء الذي هو كالسكر المضاف إلى شيء كالجير لتغير طعم وشكل السائل الذي كالزقوم مع نفس كأنفاس الموتى إن كان الموتى يتنفسون . ولقد كنت خاصة أشد ما أكون نفوراً واشمئزازاً من ذلك الكوب الرهيب وأنا أتخيل كم من المرضى والزمنى وناقلي العدوى قد شربوا منه قبلي ولقد كان يبلغ ذلك النفور مني غايته إذا سقي به قبلي طفل يكح!

ولقد كان الحكيم ولا يقال له الطبيب أو الدكتور يقوم بأعمال علاجية كثيرة فهو يجرح لدغة العقرب بالمشرط ويخلع الأضراس والأسنان ويقوم بمباشرة أمراض النساء والولادة ويقوم ببعض العمليات الصغيرة أو الكبيرة أحياناً حسب جرأته وثقته بنفسه ثم هو يصفع الأطفال الذين يرفضون المداواة وينتهر النساء ويقرّع الرجال . فقد كان حكيم القرية شخصاً مهاباً مرهوب الجانب وكان ما يقوله هو القول الفصل.

و لم تكن بالمنطقة مستشفيات كثيرة ولهذا لم يكن االحكيم يحول المرضى ولقد كانت الحالات المحولة إلى مدني أو أبي عشر حالات نادرة وغالباً ما تكون في المراحل الأخيرة ولقد اعتدنا أن معظم من يحولون إلى مدني أو أبي عشر يكون أهله قد يئسوا من حياته.

ولقد كنت أسمع وأنا طفل أن فلاناً أو أن فلانة قد حوّل إلى مدني أو أبي عشر وأنه قد (علّق له الدرب) وذلك شيء أشبه بكتابة شهادة الوفاة له.

وإذا ما خرجت العربة بالمحول إلى هذه المستشفيات تبدأ نساء وبنات ذلك الشخص في ترتيب البيت وكنس الساحات وقلوبهن يعتصرها الألم وعيونهن تطفر منها الدموع وتأتي إليهن النساء وهن يدعون بدعوات أن ينتهي الأمر على خير وهن يعلمن في قرارة أنفسهم أنه لن ينتهي إلاّ النهاية الواحدة المعروفة . ولقد كنت ألاحظ أنّ كثيراً من هؤلاء النسوة كن على شفقتهن بالمريض تكون عندهن أمنية غائرة بعيدة أن تكون نهاية الأمر نهايته المألوفة فلقد كانت المآتم والنواح فيها فرصة للتنفيس عن أشجانهن الكثيرة وما أكثر أشجان النساء في ذلك الزمان ، فقد كانت المرأة هدفاً من أهداف ظلم المجتمع الرئيسية فقد كانت تختن ختاناً فرعونياً وتشلخ وجناتها شلوخاً عريضة عميقة وتدق شفتاها بالإبر وتزوج قسراً وتطلق كثيراً وتضرب أحياناً وتعمل في البيوت والحقول وتعامل بجفاء وغير قليل من قسوة . فلعلها كانت تجد في البكاء والنواح مخرجاً ومتنفساً من هذا الضغط النفسي الكثيف القاسي المستمر ولقد رأيت كيف أن النساء كن كمن يغتنم فرصة الحزن تلك فيلبسن الدمور الخشن وأحذية جلدية كثيفة مدبوغة بالقرض ويضفرن شعورهن بشكل كئيب ولا يقربن الطيب والحناء فكنت إذا رأيت الواحدة منهن تحسبها أتاناً . هل كان ذلك نوعاً من رد الفعل على ذلك الظلم ؟!

ولقد كنا نأتي للحكيم ونحن تلاميذ في المدرسة الأولية محولين بدفتر المرضى . وَالويل لمن يكتب له الحكيم حزاء اسمه كلمة (متصنع)

فهذا المتصنع الذي جاء للعيادة رجاء أن يستريح قليلاً من ضغوط المدرسة يجد نفسه في مشكلة كبرى فهو كالمستجير بعمرو عند كربته .

أما الذين يرضى الحكيم أن ينظر في حالاتهم فهم من السعداء ولكنها سعادة متدرجة ما بين سعادة صغرى وكبرى .

أما السعادة الصغرى فهي إذا كتب الحكيم له كلمة محفوظة وهي (دواء وشغل) مردوفة بوصايا شفهية من الحكيم يطلب إليه فيها أن يقلع عن أكل الكسرة والشطة ولحم البقر وأن يأكل الأرز باللبن وأن تعمل له شوربة وحلو .

والسعادة الكبرى أن يكتب الحكيم (دواء وراحة) مع الغذاء الخاص بالشكل الموصوف سابقاً .

والغريب في الأمر أن أولياء أمور التلاميذ كانوا يصدقونهم فيما ينسبونه إلى الحكيم من وصفات الطعام ويقومون مباشرة بإطعام الطفل بذلك المطلوب . فلقد كانت عندهم طاعة للحكيم حتى بظهر الغيب عجيبة !

وأختم حديثي عن الشفخانة بطرفة حدثت لي وأنا داخل الشفخانة وأنا بعد تلميذ في الأولية إذ ناداني ود الأحمر فكدت أطير فجئت وأنا مضطرب فقال لي بلطف وعلى ثغره إبتسامة هدأت من روعي وكانت أمامه أمرأة .

- أتعرف هذه المرأة ؟

- قلت نعم هذه فلانة بنت فلان .

- اتعرف اسم زوجها ؟

- نعم هو فلان بن فلان .

فضحك ثم قال : إنني منذ مدة وأنا أسألها عن اسم والد طفلها المريض هذا وهي تستحي أن تقول اسم زوجها وأريد أن أكتب اسمه على الورقة كاملاً .

حميدان

لم يكن حميدان ودعبدا لله وزيراً ولا رئيساً ولا زعيماً وقد كان آخر عمل له هو أنه كان خفيراً في مدرسة طابت الثانوية . وقد كان عظيماً في مجتمع القرية الذي لا يقيم الناس برتبهم ولا برواتبهم ولكن بشيء يكون في وجدانهم وأفئدتهم وسجاياهم يراه جميع الناس أعمالاً عظيمة في المجتمع.

ما رأيته بمحياه المريح الدافيء في فقره العزيز إلاّ تذكرت قول الله تبارك وتعالى : ﴿ يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف ﴾ إذا أعسر أحد الناس كان يبادر بعمل كشف لمساعدته ويدفع له الناس بثقة كبيرة وإذا تخاصم ابناء العمومة والإخوان سارع لإصلاح ذات بينهم ويقبل الناس وساطته بشغف (زوّج بناته بيسر وساعد في تيسير الزواج في القرية) إذا أضرب طلاب المدرسة لا يقبلون الرجوع إلى فصولهم إلاّ إذا خاطبهم حميدان الخفير وهو الوحيد الذي قتل الثعبان الأقرع في مستشفى طابت الذي أعيا البندقية والرقية فقتله حميدان بعصاه فقط لأنه كان متوكلاً على الله وشجاعاً وواثقاً بربه.

كان عفيفاً ويكسب من عمل يده فقد كان قبل الوظيفة التي جاءها بعد أن كبر بناءً يبني الجالوص ويضرب الطوب ويعمل الرواكيب ويليس الزبالة يرقع ثوبه ويخصف نعله ويكون مع ذلك في بيته الطالب والطالبان ويميل بقليله على بعض اليتامى والأرامل ومع ذلك علّم جميع

أبنائه وبناته واغترب بعضهم ولكن ظل قانعاً بما عنده إبتسامته هي هي وبشاشته هي هي وأنسه الدافئ وقلبه الكبير لم يدخله حقد من جنس الذي يكون في قلوب بعض الفقراء حينما تتحسن أحوالهم على من حرمهم في أيام عسرهم.

لا يطوله التقسيم الطبقي فهو ليس حميدان الخفير ولا عامل اليومية ولا صانع الرواكيب ولكنه طبقة بنفسه ففي كل القرية هو " عمي حميدان. "

تراه مع بروفسير أحمد الأمين أو شيخ الجيلي أو علي سعيد أو فيصل عبدالقادر أو الديبلوماسي الشاب محمد الطيب وكلهم لا تسعهم الدنيا حينما يتكلمون ويأنسون بحميدان ، ففيه شيء يجذب نحوه القلوب ويحببه إليها وفيه عامل غريب جاذب للإنشراح مع أنه ليس صاحب نكتة ولا هذر ولا إضحاك ولكنه أمين وبسيط ومقنع وحبيب إلى النفوس لدرجة عجيبة.

ما فكر أحد في إعطائه شيئاً لأنه لا يعطيك الشعور بالاحتياج بل إن فيه عزة تجعلك دوماً مهما تعلمت وأثريت وعلوت جاهاً في المجتمع أنك محتاج إلى " حميدان" في شيء.

وأحسب أنه يجد صعوبة في الوصول إلى بيته من مكان عمله اليدوي اليومي فالقرية كلها تحتفل احتفالاً غير معلن به تناديه المرأة ويناديه الرجل يسلم عليه الصغار بوقار ويقف معه رصفاؤه يتكلمون ويحكون.

هو جزء مما بقي من صدق الآباء العظماء وأمانتهم وزهدهم وقوة شكيمتهم وحكمتهم.

وفيه تجسدت أخلاق القرية الصميمة التي نحسُّها في ضمائر أفئدتنا وهي تتفلت كما تتفلت الدمعة في عين المحزون يحاول عبثاً إبقاءها تجلداً.

ألا رحمه الله!

البخيت ود علي ومستر دور

أسست طابت في عام ١٨٧٠م تقريباً وعاشت حوالي ستين عاماً في هدوء ودعة واسترخاء ، قرية رعوية يعيش أهلها من الرعي والزراعة المطرية حتى أحتواها المشروع بين ذراعيه القويتين عام ١٩٢٩م " سنة الباجور " فكانت بعد ذلك شئون.

ولقد كان لمشروع الجزيرة آثار اقتصادية واجتماعية وثقافية وربما سياسية لا تنكر فقد انحسر الرعي قليلاً قليلاً واصبحت الزراعة مستقرة ومربحة بعد أن صارت تروى رياً دائماً من خزان سنار الذي أسس عام ١٩٢٥م وهناك آراء كثيرة حول مشروع الجزيرة ما له وما عليه يبحث عنها في غير هذه المذكرات ولكن يستهويني منها بشكل خاص رأي المستر توني بارنيت البريطاني الذي جاء هو وزوجته إلى قرية النويلة بالجزيرة حتى أنه ولد له هناك مولودٌ سماه نويلة ، يروي توني بارنيت في كتابه المكتوب باللغة الإنجليزية الذي أسماه " مشروع الجزيرة وهم تنموي " Tony Barnette, The Gezira Scheme : An Illusion of Development والذي ترجمته إلى اللغة العربية عام ١٩٨٦م يرى أن المشروع برمته ما هو إلا وهم من أوهام التنمية و لم تقصد بريطانيا به وجه السودان وإنما قام بسبب قلة وارد القطن بعد الحرب الأولى إلى مصانع لانكشير وأن المشروع قد زرع أصلاً لمصلحة مساهمي لانكشير من أجل الحصول على القطن الذي يحرك ماكينات مصانعه وأن الفائدة التي جاءت للسودان لم تكن مقصودة وأن خيرات المشروع كلها كانت تذهب إلى المساهمين

البريطانيين وأن الأسس التي قام عليها المشروع أسس اقتصاد تابع لن يستفيد منها السودان إلا إذا أحدث بها تغييرات جذرية . وأهل الجزيرة عموماً يعرفون أن بعضاً من تلك التغييرات اللازمة قد أجريت وتجرى على مدار سني الحكم الوطني في السودان وأن بعضاً منها ما يزال يجري والمشروع بعد لم يرض أهل الجزيرة رضاءً تاماً ولقد قام مفتشو الغيط البريطانيون بالإشراف والتأكد من وصول القطن إلى لانكشير على أسلم وجه فكانت الشركة ثم مشروع الجزيرة - في تفاصيل ليس هذا مكانها - هما اللذان ينفذان ذلك ويهمنا من هؤلاء المفتشين المستر دور الذي كان مفتش الغيط في قسم وادي شعير مكتب العمارة كاسر الذي تتبع له طابت ، كان رجلاً ضخماً طويلاً كثيف شعر الرأس ثائره فظاً سريع الغضب جهولاً يضرب المزارعين لأقل استفزاز يتصوره وكان يستعمل السوط واليد والرجل في عقوبة كل من يقف في وجهه اقل وقوف كان كالسيل أو العاصفة أو الزلزال ولا أدري كيف مر من غربال وزارة المستعمرات البريطانية التي كانت تنتقي حتى صغار موظفيها بعناية تامة ، كان يركب سيارة الفورد التي تشبه السيارات التي نراها في أفلام شارلي شابلن ما أن يراها المزارعون في أول " النمرة " إلا وينكمشون في داخل أنفسهم من الخوف ويتمددون في خارج أجسامهم في العمل بحماس فائق حتى لا يتعرضون لمستر دور الذي يعصف بكل من يقف أمامه.

وضرب بوق سيارته منادياً كالعادة على المزارع ليحضر جارياً ليستمع لأي أوامر منه وفعل ذلك في أحد (الحوشات) ولكن المزارع

الشاب لم يأته يعدو كما تعود من المزارعين الآخرين فنظر إليه يتأمله من بعيد بغيظ وحنق فإذا به شاب في حوالي الخامسة والثلاثين أخضر غامق الخضرة في نعومة مفتول الساعد تنضح العافية من محياه ويمشي على الأرض وكأنه يخرقها سمته كسمت جميع الأهالي (Native) ولكن في وجهه وحركة جسمه اعتداد لم يره مستر دور من قبل فجبهه مستر دور بهذا السؤال :

- ما اسمك ؟

- اسمي البخيت ود علي

- هل أنت صاحب هذه الحواشة ؟

- نعم . فقد مات أبي وصارت لي منذ شهر .

- من الذي أعطاك لها ، هذه الأرض ليست ملك أبيك وإنما هي ملك الحكومة تعطيها لمن تشاء .

- ولكن ما دامت لأبي فمن الطبيعي أن تؤول لي فهذا ما نعرفه في الميراث .

- أنتم لا تعرفون شيئاً ولهذا جئنا لنعرفكم فلتذهب أنت وأبوك إلى الجحيم.

أول مرة في تاريخ المنطقة حدث شيء خاص جداً وغريب تماماً هوت يد قوية سمراء على وجه مستر دور .. لطم مستر دور لطمة رهيبة على وجهه جعلته يترنح . وحوكم البخيت في المحكمة المحلية بالجلد والغرامة ونزع الحواشة ولكن الوساطات المحلية ألغت البند الأخير بند النزع ليصبح البخيت ود علي أشهر مزارع في مكتب طابت ، والشيء المدهش هو أن الرجلين العملاقين البخيت ود علي ومستر دور أصبحا صديقين إلى درجة قريبة من رفع الكلفة بينهما ومع أن الأوامر

المشددة كانت لمفتش الغيط بعدم الإختلاط مع الأهالي بتاتاً إذ كان مفتشو الغيط يعيشـون في منازل كبيرة أو قل مستعمرات صغيرة " سرايات " بعيدة عن القرى تحفها الأشجار الضخمة وتزينها الحدائق الغناء ويحيط بها سلك النملي " الخشن والنّاعم " خوفاً من حمى تلك البلاد " اللعينة " كما يسمونها! .. ويحرسها الخفراء ولا يذهب المفتشون لشراء احتياجاتهم من القرى وإنما يمشي الخدامون نيابة عنهم إلى درجة أن صاحبنا توني بارنيت أسماهم " الطيور المحفوظة " في الأقفاص.

على الرغم من ذلك نشأت بين مستر دور والبخيت تلك العلاقة التي وصفناها فكان البخيت يأتي حتى باب مستر دور الخارجي ويعرفه الخفير وينادي له مستر دور ويتكلمان قليلاً وينصرف البخيت إلى شأنه ودور إلى داخل بيته وقد عين دور البخيت ود علي رئيساً لأصحاب المحاريث الذين يعملون بالثيران بعدما رأى من قوة شكيمته ودقته في العمل واجتهاده فيه وكان يركبه معه سيارته " ليمروا " وكلمة يمروا هذه يعرفها أهل مشروع الجزيرة فالمرور هو تفتيش مفتش الغيط على الحواشات على صهوة جواده أو سيارته ويتأكد أن العمل فيها يسير على ما يرام ولقد رأيت " توني بارنيت " في الكتاب المذكور " وقيتسكل " في كتابه " مشروع الجزيرة قصة تنمية " : (Gatskill, The Gezira Scheme : A Story of Development) كلا الرجلين يستعمل كلمة مرور ويكتبها بالإنجليزية هكذا (MARUR) كأنهم ليس عندهم بديل إنجليزي لها ، لقد كان بين مستر دور والبخيت تشابه كبير ومع أنهما صارا صديقين ولكن

إذا رأيتهما تحسبهما مصارعين يستعدان لمنازلـة بعضهمـا بعضـاً ، كانـا لا يضحكان إلا لماماً ولا يتكلمان إلا نزراً وفي حدود العمل تقريباً ولكـن مودتهما كانت شيئاً كما يقول النحويون مضمراً وجوباً.

حكى لي البخيت القصة التالية:

ركبـت مـع مســتر دور في عربتـه الصغـيرة لأصحبـه في المـرور وأجلسني في المقعد الأمامي معه وفي المقعد الخلفي كانت تقبع كلبته فكـان يتكلم معي ويمسك مقود السيارة بيـده اليسـرى ويمسـح على شـعر ظهـر كلبته بيده اليمني والسيارة تعدو بنا كالمجنونة و لم تكن مجنونة هي فقد كان المجنون هو صديقي مستر دور لأنه كان رجـلاً لا يعـرف الخـوف إلى قلبـه سبيلاً .. ثم دخل بنا في إحدى كباري الترع وهو مستغرق في اللعب مع كلبته وهو يسوق فانحرفت السيارة منه وكدنا أن نقع في الترعة فأمسـكت دركسون السيارة بيدي وأرجعتها إلى مسـارها الصحيـح .. فغضـب دور وما أسرع ما كان يغضب وركبت رأسه شيطانيه فـترك الكلبـة وأمسـك الدركسون بكلتا يديه حتى إذا خرجنا من الكبري .. أهوى بيـده اليمنـى على وجهي ولطمني لطمة كادت أن تقتلني .. وفي ثوانٍ استعدت جأشـي ولطمته في وجهه لطمة أقوى من لطمته .. وبعـد برهـة ضحـك وأمسـك دركسون العربة بكلتا يديه ومضى في مشواره .. وكأن شـيئاً لم يكـن .. و لم يسألني عن ذلك الأمر و لم أسأله مرة أخـرى ويسـتمر البخيـت يـروي قصته مع مستر دور : (ثم أن مستر دور نقـل وسـافر إلى بريطانيـا وجـاء

بعده مفتش آخر وبعد مدة استدعاني هذا المفتش الجديد وتكلم معي وهو ينظر في سجلي أمامه قائلاً:

بخيت ود علي ما جنسك ؟

أنا جعلي جموعي

لا أنت موش جعلي .. أنت يهودي .. مستر دور كتب هنا البخيت ود علي يهودي)

يا ترى هل كان مستر دور نفسه يهودياً فأعجبته بطولة البخيت فأراد أن ينسبه إلى قومه أم ما هي الأسباب التي جعلته يصف البخيت بذلك ، ذلك شيء ربما ينكشف إذا اطلع أحد الباحثين على مذكرات مستر دور .. وحللها .. فإن من أكبر ميزات البريطانيين هذا التسجيل اليومي لمذكراتهم في السودان لقد تركت هذه الصداقة العنيفة بين الرجلين العنيفين آثارها في البخيت ود علي فقد كان إلى آخر حياته وقد عاش حوالي مائة سنة يتكلم بشيء من العجرفة البريطانية.

وقد كان للبخيت مواهب أخرى كثيرة فهو من أكبر شعراء طابت وكان يتكلم الشعر كلاماً ولا يكتبه لأنه كان أمياً لا يكتب وكانت له مساجلات مع كبار شعراء طابت من أمثال حجاج ود أحمد وكمال الدين وشيخ هاشم وسيلمان ود موسى.

وكان بصيراً " جباراً للكسور " ولكن كثيراً من الناس كانوا يهابون التداوي عنده لأنه كان لا يقبل " الجِرسة " من الرجال بتاتاً.

مع أنه كان بارعاً لدرجة عجيبة .. حكى لي قسم السيد ود الجعلي من ود بلل " : أنه هجم عليه جمل من جماله انتقاماً من ضربة ضربها إياه فرماه على الأرض وبرك على فخذه ورضها رضاً فرصها له البخيت وجبّرها وشفي كأحسن ما يكون الشفاء ثم إن البخيت كان بيطاراً يداوي الحيوانات وتساعده قوته الهائلة في السيطرة عليها يكويها ويسقيها أدوية من صنعه ويجري لها عمليات بحسب ما يرى ، ومع كل ذلك كان شيخاً من شيوخ العرب في القرية فهو من أوائل من بنوا الدواوين ومن أوائل من حجوا إلى بيت الله الحرام حينما كان الحج صعباً ونادراً ، وكان مزواجاً .. حكى عنه أنه تزوج بنت صديقه في يوم عقيقتها إذا قال له صديقه وهو يمازحه أنا أزوجك فاطمة هذه ، فقال البخيت قبلت وما أن كبرت فاطمة ووصلت سن الزواج حتى تزوجها وهي زوجته الخامسة إذ طلق واحدة وهو مع ذلك كان مهاباً لا تجرؤ النساء وهو موجود على متابعة " عنقريب " الجنازة خارج بيت البكاء إذ أن أي واحدة تعمل ذلك كان يضربها بالسوط وكان كذلك لا يسمح للأطفال باللعب في مياه الأمطار الراكدة بعد هطول الأمطار.

كل ذلك في حيز الأبوة القروية التي كانت تقاليد القرى تسمح بها من غير إعتراض ولا مدافعة فقد كانت القرية تسمح للرجال بل وتتوقع منهم أن يصلحوا كل شيء لا يتفق مع العرف المتفق عليه ضمناً في ميثاق القرية الاجتماعي غير المكتوب.

النادي

المؤسسات الاجتماعية لها دور غير منكور في تثقيف الناس وتوعيتهم وتطويرهم والترويح عنهم . والرجال الذين يقومون على مثل هذه المؤسسات إذا كانوا يعملون بغير مكافأة مالية ولا لقاء مصلحة خاصة هم شموس المجتمعات وكواكبها . ولقد خبرت عدداً من هؤلاء الرجال في طابت في نادي العمال الذي كنت قريباً منه مدة من الزمان ، ولقد لفت نظري أن معظم هؤلاء من غير المتعلمين بل إن بعضهم كان أمياً ، ففيهم النجار والسائق والحداد والخباز والمزارع والبنّاء والتاجر الصغير ، ولقد كان معظمهم في طور الشباب وبعضهم فد تجاوزه قليلاً ، رأيت فيهم حماسة للعمل بالنادي لتطويره ولتطوير البلد ، لم أر مثلها حتى بعد أن دارت الأيام وتعلم الجيل الأصغر ودخل المدارس والجامعات وتبوأ المناصب. إن المجموعة التي كانت في نادي العُمّال بطابت على الرغم من القدر المتواضع من الإستنارة الذي حصلت عليه ، كانت دؤوبة وجادة في الشأن الاجتماعي . فقد كان فريق الرياضة قوياً ونشطاً يتدرب باستمرار عند العصر في ميدان كرة القدم وعند الليل بالرياضات البدنية المختلفة ، ويدخل في مباريات كثيرة وقوية تملأ البلد كلها هياجاً وانفعالاً وتضامناً و أن مكرفون النادي كان لا ينفك يدعو إلى ندوة أو محاضرة أو حديث أو نقاش ساخن حول قضايا القرية ، ومسرح القرية لا يكاد يمر شهر دون أن تمثل على خشبته مسرحية ، صحيح أننا لو حاكمنا تلك

الأعمال المسرحية بمقاييس معهد الموسيقي والمسرح قد لا تكون شيئا ولكنها كانت ترفع جهل الناس وتعلمهم وتثقفهم بل وتدخل عليهم بهجة وأنسا لا يوصفان هذا إلي جانب ليالي السمر والغناء ، كل هذا النشاط العملاق يرعاه الشباب الحرفيون المحدودو الثقافة القليلو الحظ من التعليم. وتحت هذه الرعاية التلقائية غير المدربة وبقيادة من ذكرنا خرج نادي العمال من خلال أنشطته الموصوفة رجالا أضافوا للعطاء الثقافي والرياضي والفني للسودان كله ، فقد تخرج من منصة خطابة النادي الأستاذ عبدالجبار المبارك العالم والخطيب المعروف وأحد أعمدة التعليم الأهلي الآن ، وتخرج من ميادين النادي لاعب الهلال الخرطومي الشهير " شواطين " الذي كتم أنفاس ملك كرة القدم العالمي " بيليه " عندما زار السودان وسيطر عليه في الميدان ومنعه من تصويب أي كرات نحو شباك الهــلال ، ثم تخرج من خلال ليالي سمر النادي الفنان الكبير أحمد الطيب .

هذه الصورة المشرقة من الحيوية والجد والمثابرة والإهتمام بترقية المجتمع تقابلها صورة أخري من صور الإنغلاق علي الذات ، هي صورة الأفندية من أبناء القرية الذين في معظمهم لايعملون في القرية بحكم أن مواعين القرية الصغيرة لا تسع كفاءاتهم لاحظ أن ذلك كان في الأعوام بين ٥٥ - ١٩٦٥م تقريبا) ولذلك كانوا يأتون للقرية لماما من الخميس إلي الخميس كما يقول الشاعر محمد محمد علي ، أو في العطلات والأعياد ولايظهرون للناس إلا في المناسبات الخاصة من زواج وعزاء ولكنهم لا يأتون للنــادي ولايؤمون النــدوات ولا الإحتفالات العامة فهم يشكلون

شلة خاصة بهم ، يجتمعون في بيوت بعضهم ويأنسون ببعضهم أنس تلك الأيام ، يأكلون وحدهم ويمنعون المجتمع رفدهم ولا يصل مجتمع القرية منهم سوى بعض نكاتهم التي ينقلها عنهم من يكون في خدمة جلساتهم تلك أو أراجيزهم وألحانهم التي تعلموها في المدن والتي يسر بها هدوء الظلام عندما ينشدونها إنشاداً جماعياً آخر الليل.

لدرجة أنني بدأت أسأل نفسي : هل التعليم الذي تلقاه الناس في المدارس هو المسؤول عن هذه السلبية ؟ وهل المتعلم الذي خرجته المناهج القديمة يصبح مهتماً بنفسه يدور حولها ويحقق رغائبها التي لا تنتهي وينغمس في طموح ذاته وينسى مجتمعه وناسه ويتعالى عليهم ؟ وأغلب الظن أن مناهج التعليم القديمة التي أفرزت الأفندية قد أريد لها أن تثمر هذا الفصام بين المتعلم وبين مجتمعه . فالمناهج قد قامت على غير الأسس الني قام عليها المجتمع فالمدارس كانت في وادٍ والمجتمع في وادٍ وليس ذلك ذنب المتلقي وإنما ذنب واضعي هذه المناهج وراسمي هذه الوسائل ومنشيء هذه القدوة التي وجدها المتعلم في المدارس التي دخلها يافعاً فشكّلته كيفما تشاء أما الشباب غير المتعلم الذي كان في القرية ولو أنه تأثر برشاش تلك الخطط التي كانت في المدارس لأنه قد يكون درس فيها سنة أو سنتين وتعرض لتأثيرها العام ، لكنها على كل حال لم تصبه في المقتل . فقد كان ذلك الشباب لصيقاً بأخلاق القرية الصميمة القائمة على النجدة والتعاون والجماعية والإحساس بالآخرين.

فبينما كان ذلك الجيل من الأفندية يهتم بالتأنق وانتقاء الكلام " المثقفاتي " ويأخذ من القرية ولا يعطيها كانت قيادة المجتمع في يدِ هؤلاء الفتية العاديين جددوا بها قيادة مجتمع القرية الدينية ولو أنهم هم لم يكونوا يعرفون من الدين الشيء الكثير وإنما يعملون بأثره العام في أنفسهم وتربيتهم ويدفعهم ذلك تلقائياً إلى سدة قيادة المجتمع الصغير.

كان من قادة العمل بالنادي محمد علي إدريس وله عدة أسماء كلها متعلقة بصنعته ومهارته اليدوية فهو محمد علي السمّكري ـو هو الحداد أو هو " ماركوني " وهو رجل قوي الشكيمة ومع أنه لم يكن عسكرياً في يوم من الأيام إلا أنه منضبط على النهج العسكري حتى ليخيل إليك أنه قائد عسكري بالمعاش إذا عمل شيئاً يعمله بالساعة لا يتأخر ولا يجامل ولا يتراخى وقد كان النادي على أيام رئاسته مؤسسة شبه عسكرية فمن يتأخر عن الاجتماع يطرد ومن لا يؤدي واجبه يوبخ توبيخاً جهيراً ومن يتقاعس عما أسند إليه يفقد منصبه في اللجنة ، لا يدخل الصبيان القصّر إلى النادي وتجد أن هناك مساحات من الإحترام بين الأجيال لا تخترق . كان محمد علي شديداً ومع ذلك كان ذا ذهن وقّاد ومقدرة على ابتداع الأفكار الجديدة والجريئة ، كان يخترع بعض الأجهزة ويصلح أعطاب بعضها بمقدرة عجيبة ولهذا سماه زملاؤه " ماركوني " حينما كان رئيساً للنادي كان لا يقبل كما يقول بالمركز الثاني مطلقاً , إذا رأيته في مكان العمل في ورشته تظن أن الرجل قد استفرغ كل جهده وطاقته هناك وإذا رأيته في النادي تقول أن محمد علي لم يخلق إلا ليكون رئيساً لنادي

العمال وله في أثناء الكلام لازمة تميزه وهي قوله (إن هذا الموضوع خمسة وثمانين في المية حينجح) وخمسة وثمانين محمد علي هي مائة في المائة الآخرين.

ثم كان هناك سعيد محمد أحمد الملقب " بكلوس " وهو بحق أحد محبي نادي العمال وهو سائق قديم منذ أواخر الأربعينات حينما كانت السواقة كما يقول ﴿ جعاصة ﴾ وهو مشهور بأنه ينفعل في صمت وينظر إلى لاعبي النادي على أنهم أبناؤه وهو لا يقبل الهزيمة أبداً فإذا انهزم الفريق في مباراة نفض يده من كل عمل حتى عمله الذي يأكل عيشه منه وجعل يدرب اللاعبين تدريباً لا يخلو من شدة فيها معنى العقاب ، وهو هلالابي متعصب وهو بالطبع عمالابي موت والشيء الذي كان سيحيره حقاً إذا قدر للعمال أن يلعب ضد الهلال عندها سيكون من أشقى الناس إذ أنه لن يدري كيف يفعل ولطف ا لله بالرجل إذ أن تجربة من هذا القبيل لم تحدث ، وكان إلى جانب صمته وجديته طريفاً فقد كانت عنده نكتة عملية وهو أنه إذا جاء إلى حفل زواج أي أحد من اصدقائه وأصدقاؤه هم أعضاء نادي العمال فقط يدفع في كشف العزومة خمسة وعشرين قرشاً وهو المبلغ المعروف الذي كان يدفعه كل الناس في ذلك الزمن فيزيد هو عليه " تعريفة " وما تلك التعريفة إلاّ تعريفاً بخصوصية سعيد ثم يكتب المبلغ في الغالب باسم ابنه معاوية.

أما عمنا حامد عبدا لله فقد كان النادي في يوم من الأيام في أحد بيوته ، واي وقت تريد حامد فهو في النادي حتى أنني لأعجب أين كان

يذهب في أيام العيد الثلاثة وأيام إغلاق أبواب النـادي حداداً على وفـاة أحد أعضائه ، قطعاً سيكون في مشكلة حقيقية خاصة في الأمسـيات وقـد كان ذلك دابه منذ إنشاء النادي عام ١٩٥٣م و لم يكن عم حامد يستكثر على النادي – وهو رجل ميسور – مالاً ولا جهداً ولا وقتاً وقد حكى لي مرة أن أهله وهو من القرير في الشـايقية طلبوا إليه أن يرحل معهم عن طابت ، فقال لهم نعم أرحل ولكن بشرط – وفـرح أهله وقـالوا لـه كـل شـروطك موفـاة فمـا هـي ؟ فقـال : أن تحملوا طـابت معـي إلى حيـث تريدوني أن أكون.

أما سليمان القطر فهو صاحب " ولهٍ " بنادي العمال كان يحضـر أي تمرين للنادي وأي مباراة للنـادي طبعـاً وعندمـا يحمـي وطيس المبـاراة ينفعل سليمان وتصيبه " حالة هسـتيرية " وإذا أحـرز النـادي هدفـاً يفـرح فرحاً عارماً ، ولـه عصـا إذا انهـزم العمـال دخـل بهـا مباشـرة إلى الميـدان وحينها فليكن الله في عون الحكم . ثم قد يدلف بهذه العكازة نحو بعض أعضاء النادي المنافس وهو نادي الأهلي ، أو حتـى قـد يقتحـم بهـا مبنـى النادي صائحاً " يا صهاينة " والعجيب أن كل ذلك مفهوم جـداً ومقبـول جداً في إطار المجتمع الصغـير الـودود ومهمـا بـدر مـن بعـض سـوء تفـاهم يصفى وينتهي بسرعة مذهلة .

لقـد حمـل نـادي العمـال لـواء النصـر زمنـاً طويـلاً في كـل منطقـة الحصاحيصا وبهر المشاهدين وفتن الناس ، وكانت الفرق تحسب لـه الـف حساب وقد عايشت عصره الذهبي وكـانت قمـة مجـده في الفـترة مـا بـين

عـامي ٥٨ - ٦٧م إذ انتظـم في سـلك أشباله في ذلـك الوقـت أشـبال كأشبال الأسود حقاً لا مجازاً ولا أنساهم ومنهم النـور عبـدا لله وإبراهيـم البخيت وموسى علي حسب ا لله وعبدا لله موسى وبشير البدوي الملقب " بفتّاشة " وعباس محمد البشير وعباس محي الديـن وعـوض عبـاس " كـابتن عوض " وآدم علي سـلامة ومحمـد صـالح حـامد وعبدالمنعـم أبـو المعـالي وسراج محمد أحمد طه ومبارك محمد أحمـد يعقـوب إذا اندفعـوا في الميـدان يتواثبون وهـم يلبسون الزي المميز ذي الألوان الجذابة تظنهم أحـد عشـر " بلية " جديدة أفرغت لتوها من قرطاسها ، لعبوا مرّة ضد فريق الحريـة بـأم درمان وهزموه في أرضه وعندما جاء الفريق الأمدرماني الذي كان لاعبوه يمتلئون حيوية ويفيضون شباباً لما جاء ذلك الفريـق لمباراة الـرد في طـابت صادف أن كانت هنـاك مبـاراة في الـدوري المحلي في نفـس اليـوم وذلـك بسبب خطأ في التنسيق فما كان من أشـبال العمـال إلا أن قبلـوا التحـدي ولعبوا كلتا المبارتين في نفس اليوم واحدة في الصباح والأخـرى في المسـاء فكان يوماً احتفالياً كيوم العيد ومعظم هؤلاء الأشبال في حـوالي الخمسـين الآن وبعضهم قد تجاوزها بقليـل وتراخـت أجسـامهم وبـرزت كروشـهم وشمطت شعورهم وفتر حماسهم وكلهم يقرع السـن علـى أن لم يكـن زاد في تلك الخطى أذ أشيع ذلك الزمان الخصيب.

وتوالت أجيال الإداريين بعـد الجيـل الأول وبذلـوا جهـداً عظيمـاً مشكوراً ، أذكر على سبيل المثـال لا الحصـر مبـارك النـور عيسـى والنـور سليمان والسماني الأمين الشـيخ والسـماني الطيـب ومصطفـى ود نفـاش

وحمد بابكر وصديق الأمين وعبدالله محمد نور الذي كان لاعبا كبيرا أيضا وعباس محمد البشير وعوض الله حسب الرسول ومحمد سليمان فضل الله وعبدالغني الصادق وأخوه محمد الصادق وفضل علي سلامة .. ومن الذين ارتبط برنامجهم اليومي بالنادي في تلك الفترة بخيت ناصر الذي كان مديرا للبوفيه يعطر النادي بتعليقاته وتشخصيه للأحداث ، وموسي المقدم سليمان ، والتوم عمر الكتم وحسن السد ومحمود البخيت وعبدالرحمن ابن عوف وزكي سعيد وأخوه عباس وحسن الكويرس وجرتلي وبشري كتّب وقرض وملك الفكاهة في طابت عوض أبرق .. ومبارك سليمان موسي (مبارك أب كراع) الذي انهالت عليه انقاض الهدم في الحفير وهو يحمل التراب في قليبة ومات في أبي عشر كما يموت الفرسان وعلي ثغره ابتسـامه وصنوه وابن عمـه موسي محمد موسي (ود أب أردبين) وقد كان موسي ومبارك كما قال الشاعر :

وكنا كندماني جذيمة برهة من الوقت

حتي قيل لن يتفرقا

فلما تفرقنا كأني ومالكـــا

لطول افتراق لم نبت ليلة معا

وقد حدثني موسي أنه كان لايطيق أن يذهب إلي المزارع والمراعي لأن خيال ابن عمه وذكراه تلاحقانه خاصة وأنه كانت بينهما مؤآنسة حميمة برموز خاصة ومحبة عميقة حتي إنني خشيت علي موسي بعد موت مبارك .

ثم كان من رموز النادي الفنان محمد المبارك أو (ود المبارك) أو(أب كرابة) كما يحلو لأصدقائه المقربين أن ينادوه (والكرابة) هي حزام البنطلون لأنه كان شابا أنيقا يلبس البنطلون بالحزام (القاش).

وكان في أناقة هندامه وعزة نفسه واخضرار لونه ووسامته أشبه ما يكون بفنان السودان الأول الحاج محمد أحمد سرور وكان يغني بعض أغاني سرور مثل " دمعة الشوق " و " يجلي النظر يا صاحي. "

وكان صوته كصوت سرور في قوته واتساعه وتمكنه وقد أشار إلى بعض كبار الأهل أن ذلك الصوت ورثه عن خاله (حمزة) الذي كان يغني مع محمد أحمد موسى (ود الكندي) وكأنهما كما يقول الجنرال (قد أوتيا مزماراً من مزامير داؤد) .

وكان محمد المبارك عمالابياً متحمُساً يشارك بالغناء في النادي إذ أن مسرح نادي العمال هو الذي أبرز موهبته الغنائية كما أبرز موهبة أخيه عبدالجبار المبارك الخطابية.

وكان محمد المبارك يشترك في التمثيل أيضا . وكان من أشهر التمثيليات التي اشترك في أدائها تمثيلية (موسى ود جلي) .

وفي مشهد من المشاهد يرى وهو يقوم بدور موسى ود جلي وقد هربت به فرسه . ولم يكن ود المبارك بطبيعته البطولية يحب دور الهروب حتى في التمثيل.

وقد عرف شباب النادي الذين كانوا يشاهدون المسرحية طبيعته تلك النافرة من الإنهزام والضعف ولو في التمثيل فصاروا يصفقون ويضحكون ويغيظونه بهروبه بكلمات لم يقبلها . فما كان منه إلاّ أن أوقف التمثيل وشاتمهم مباشرة من على خشبة المسرح ولقد كان ذلك أدعى لمزيد من الضحك مما أكسب المسرحية حيوية إضافية.

وكذلك أبرز النادي الفنان المعروف أحمد الطيب إذ قد كان أيضا لاعب كرة قدير يمتاز بفنيات قل أن تراها الآن عند عمالقة الكرة . وماتزال في مخيلتي صورته وهو شاب نحيل كالسوط جميل كالغصن خفيف الظل فائض العاطفة شأن كل مبدع وقد كان كذلك ذا باع في التمثيل كصاحبه ود المبارك.

وقد كان سائقاً جمع إلى مقدرته الفائقة على القيادة والتحكم نزقاً كان ملحوظاً في بعض شباب ذلك الزمان وفي خاطري اندفاعه بعربة لاندروفر بأقصى سرعة تستطيعها تلك العربة بالشارع الرئيسي يوم فوز صديق عمره بدوي عبدالقادر في انتخابات عام ١٩٦٨م ، ذلك الفوز الذي كان له ما بعده في الحياة الاجتماعية والسياسية في طابت.

ماتزال في خاطري صورته وهو يندفع بجنون يشق بتلك العربة الجموع الغفيرة ولايمسك عجلة القيادة بل يوجه همه كله على بوق السيارة ليحدث ضجيجاً " احتفالياً " حتى إنني اغمضت عيني خشية أن ترى ضحاياه من حولي ولكنه ولعجبي الشديد تسرب من خلالهم كما يتسرب الوهم من الخاطر

هذا وقد غنى (ود المبارك وأحمد الطيب) في مسرح نادي العمال في شكل ثنائي وقد سموا فرقتهم المشتركة باسم فرقة نادي العمال للغناء والتمثيل . ثم تطور كل واحد منهما على انفراد حتى صارت له شخصيته الفنية المتميزة.

ولقد كان لإتصال أحمد الطيب بالشاعرالأستاذ الطيب السماني أثر لا ينكر . في حين أن ود المبارك ظل يغني في الغالب أغاني الحقيبة ولا أعرف له أغنية خاصة سوى واحدة أعطاها له الأخ الأستاذ محمد أحمد علي الحاج يقول فيها:-

يا أميرة جمالك سباني وفيك سحر

الكون الفريد.. ..

وقد حضرته مرة يوقع أغنية لابن عمتي عبداالباسط عبدالعزيز . يقول فيها :-

يا سمار النيل يا ديناري

رائع ساحر سحرك ساري

الواحد يحس لما يشوفك

إنك إنسان في شكل ملاك

وأذكر إلى الآن عبدالباسط بظرفه المعروف يعلق على أن ود المبارك كان يصر على أن يقول في " شكل " بالشين المكسورة وأنه كان يمسح العرق من جبينه بطريقة معينة وهو يتلقى لحن الأغنية من شاعرها وملحنها.

لكن ذلك لم يمض إلى شوط بعيد.

في حين أن أحمد الطيب استفاد من موهبة الطيب السماني الشعرية اللحنية وطلع بأغاني " الجدية " و " الغصن الدايماً رطيب " و " نور السعادة " و " بدر الحسن لي لو لاح " و " درتي الغالية " مما أسرع بخطاه نحو الإذاعة . حيث احتضنه الوسط الفني في أم درمان ونظمت له لقاءات فنية

الإذاعة والتلفزيون وسجلت له أغانيه . ,اسماه المذيع الكبير محمد خوجلي صالحين " بخليفة إبراهيم عبدالجليل " وجمع مع عصفور السودان براهيم عبدالجليل وتنازل له عن أغنيتيه " ضاع صبري " و " الشويدن ووض الجنان " اللتان ما تزالا مسجلتين بصوت أحمد الطيب بالإذاعة.

وقد نشأت بين محمد المبارك وأحمد الطيب رحمهما الله صداقة قوية يشوبها التنافس حتى إن المجتمع في طابت كان ينقسم إلى مؤيدي أحمد الطيب ومؤيدي محمد المبارك . وقد روى لي أحد أصدقائهما أن ربات جمال ذلك الزمان الطيب البريء وهما شقيقتان من خارج طابت كانت كل واحدة منهما تنحاز إلى فن واحد من الفنانين وتؤيده وتحشد لحفلته وتخلص في الرقص على أنغامه.

وقد كان الفنانان يعرفان ذلك ويغني كل واحد منهما لليلاه أغاني خاصة لا يغنيها لغيرها في الحفلة.

وقد كانت في ليالي ألف ليلة وليلة تلك التي طواها الزمان للأبد عشاق معاميد ضائعون كالراعي المسكين العاشق الذي طلبت إليه ربة الحسن أن يغير قميص الرعي الخشن الكثيف بقميص وبنطلون مهراً لأن تلتفت له وتفكر في قبول طلبه بعد أن خطبها وقد كانت القرية كلها تتبسم وتأسى له فقد كانت الهوة الحضارية بين العاشق والمعشوق كالهوة بين الممكن والمستحيل . ومعه كان مساعد البناء الهيمان وتاجر الصيني الولهان وخلق آخرون أخفاهم الكتمان لا يعلمهم إلاّ الواحد الديان.

كل ذلك قبل أن (تسودن) بناتنا عرش الجمال في طابت علي حد تعبير أحد ندامي ذلك الزمن وقد تكرر المشهد السابق حزو النعل بالنعل .

وبدأت عملية (السودنة) و (التسليم والتسلم) كما يحب محدثي ذاك أن يقول علي أعتاب (البولمان) الرمادي الأملس الجميل الذي كان يوقفه سائقه المخضرم كل عصر جمعة في المنطقة الوسطي ويأخذ فيه طالبات مدرسة المسلمية الوسطي.

وعندها أو قبلها أو استعدادا لها كان يحتشد في الديوان المجاور شباب ذلك الزمان الذين يكونون قد تغدوا معا وهم يلعبون الكتشينة بقلوب ممزقة وما أن يسمعوا أزيز (البولمان الرمادي) حتي يكونوا في حالة من التوجس والإضطراب والطرب و (اللخمة) لا توصف ، وأذكر أن صديقنا ذاك الظريف الشاعر الرقيق العواطف كانت تستعجم عليه مسالك التعبير فإذا به يردد في هستريا :-

أنا ليس لي شيء أقوله سوي :-

أنا مالي ومالو وإنتو مالكم ومالو

دا السحرني جمالو

ولقد انتقل الهيام من المهام به إلي (البولمان) حتي حكي لي أحدهم أنه يحب (ذلك البولمان) وتطرف أحدهم في المحبة حتي قال إنه " يحب السائق كذلك "

وذلك كله مفهوم في السياق العربي وهو الذي جعل الجاهليين يقفون على الأطلال وجعل مجنون ليلى يقول:

أمر على الديار ديار ليلى * أقبل ذا الجدار وذا الجدارا
وما حب الديار شغفن قلبي * ولكن حب من سكن الديارا

وجدت هذه الملاحظات في دفتر مذكرات قديم لأحد المحاربين القدامى من جيلنا يقول فيها :-

" كنت مجروح القدم أسير على عصا ، وأنا بعد في أول الصبا وما راعني إلاّ إنسان جميل في مثل سني يخاطبني بحنان ومعرفة . فإذا هي هي . ذلك الجمال الذي منذ أن وقعت عيناي عليه لم تقعا على جمال يدانيه . رأيتها تتألم لجراحتي ، وكأنما القدر قد عقد بيني وبينها ميثاقاً " أبدياً " هو ميثاق الجرح .

كانت كأنما انشقت السماء عنها ونزلت منها إلى الأرض ، في روعة الكواكب ، وإشراق الشمس ولألأء الماء يسقط عليه الضوء ، ووهم الحلم الجميل .

رأيتها وعلى رأسها نصيف أحمر ، فأيقنت أن الصورة التي أمامي ليست من صور الناس ، ولا صور الدنيا . خلقت على هيئة كاملة . ما سمعت أحداً يلاحظ على خلقها ملاحظة ، ولا يستدرك على تقويمها هنةً كأنها وحدها دون الخلق التي خلقت في أحسن تقويم .

ويقول في جزء آخر :

""تذكر يا أخي عندما أطلت من حائط المدرسة الأولية للبنات من الركن الشمالي الشرقي تطلب الكرة التي قفزت من داخل المدرسة إلي خارج السور.. تذكر ترددي وترددك في إعطائها الكرة ؟ وتذكر أنك أعطيتها لها .. حسبت منذ ذلك اليوم أنها ربما تكون لك وأعلم أنه لا ميزة لك علي إلا هذه الجرأة وأنني لن يؤخرني إلاَّ حيائي ذاك الذي تعرف ".

" سلام أحلي من الورد وأجلى من الفضة وأغلي من الذهب .. نعم وهو أكثر من ذلك وزيادة لأنه منك ! .

واستمرت خلافة الجمال لا تنقطع جيلا ثم جيلا ثم جيل .. ولولا أن تاريخ مقالاتي هذا ينتهي بحيث التزمت لكانت للحديث شجون وأفانين .

ولا قطع الله عن المسلمين الخلافة فمنذ انقطعت خلافة المسلمين في تركيا بمكر اليهود والنصاري ونحن فيما نحن فيه من الهوان .

هذا - كما يقول استاذنا البروفيسور عبدالله الطيب - ثم إن أحمد الطيب اتصل بعد ذلك بالشاعر الفنان أحمد محمد الشيخ (الجاغريو) وجاء معه الجاغريو إلي طابت في حفل ختان أنجال أحمد الطيب وهم : عماد أحمد الطيب (الفنان المعروف الآن) وعادل أخوه الذي سمعت أن صوته يطابق صوت أبيه في الغناء .

وقد غني أحمد الطيب في تلك الأيام كما لم يغن قبلها إلا اللهم في زواج شاعره الطيب السماني .

وقد سمعته يغني في ذلك الختان أغنية المساح " زمانك والهوى أعوانك وكان يقف بالقرب مني ابن عمتي عبدالباسط عبدالعزيز الذي استبد به الطرب حتى إنني إن لم التزمه بسرعة لكان وقع من شدة الطرب فأحمد الطيب حينما يغني بمزاج لا يغني أحد كما يغني - وقد غنى للجاغريو " أسمر لونه " و " يا شباب مهما نقاس " وفي " ربوع بحري " . وقد استمر الاحتفال بالختان أياماً مرض في واحد منها أحمد الطيب فوقف الجاغريو في الميكرفون وقال على البديهة:-

عيان يا بلبل متى تصبح طيب * الناس في رجاكا يا أحمد طيب

وقد نظرت إلى هذا البيت وأنا أرثي أحمد الطيب بعد خمس عشرة سنة عند وفاته عام ١٩٨٧م فقلت:-

يا رقيق يا طيب   واسع الغفران يدنو ليك قريبٌ يا حلو النغمات

يوم رحيلك أشيب كنت رائع وموحي ولي زمانا مطيب

من نفوسنا قريب   ولي قلوبنا حبيّب

بك طابت طابت   في الزمان الطيب

وما تزال في الذاكرة زيارة أحمد الطيب لنا ونحن طلاب في مدني الثانوية عام ٦٤- ٦٥م وإحيائه لليلة بمسرح المدرسة بدعوة من طلاب طابت الذين أذكر منهم محمد صالح حامد وأحمد الطيب هجام وقرشي محمد سرور وعبدالله المقلي وأزهري عبدالرحمن أبوشام وأنه لما نزل من المسرح بعد أن غنى (ضاع صبري) اعتنقه أستاذ الجغرافيا بالمدرسة الحلفاوي عبدالرءوف محمد صالح رحمه الله وقد استبد به الطرب .

ولا غرو فقد روي لي بعض أهل أبوروف أن أحمد الطيب غني مرة في إحدي حفلاته (أغنية الشويدن) فتسور عليه شيخ كبير الحائط وأمسك برقبته في عنف ممزوج بمحبة وإعجاب شديدين وقال له :.

" ياولدي مالك علينا تريد أن ترجعنا إلي أيام إبراهيم عبدالجليل " وأذكر أن تلك الليلة في مدني الثانوية كانت ليلة خاصة إذ تجمع الأساتذة والطلاب حول أحمد الطيب وبعد نهاية الحفل بالمسرح المدرسي اتجه معنا إلي الداخلية وهناك بدأ يوقع علي دولاب أحد طلاب الداخلية ويغني وليس في الداخلية موضع قدم لأحد من الزحام.

ثم إن أحمد الطيب غني لشعراء آخرين غير الطيب السماني وهم : الجيلي بشير وشاعر كبير يكتم شعره ثم بعد مدة متأخرة غني لعبدالباسط عبدالعزيز أغنيات (البقيت جافي) و (حنيني العشته في طابت) ولم يغن لي سوي بيت واحد هو مطلع أغنية :

دارت كئوس الهوي

التي أكملها عبدالباسط من بعد ولحنها وأعطاها له.

وظهرت في وقت واحد تحت مظلة نادي العمل فرق غنائية أخري هي : فرقة سقاري وفرقة الأخوين التوم وبشير الكتم ودياب وسليمان عبدالله (الحنين) وعثمان البطري وهو أول من غني أغنية : " جميل غاية وبديع رسمك " التي غناها من بعد أحمد الطيب بابداع شديد ، وقد استمرت فرقة (سقاري) أطول من كل الفـــرق الأخري لما يتمتع بـــه عبدالمنعم (أب أضان) وعـــبدالوهاب

وقد كان لبنات طابت رأي يمكن أن نسميه رأيـاً نقديـاً لخصّنـه في السّجعة التالية: "إذا كانت الحفلة بـ :-

أحمد الطيب نرقص بعد نغيب

وكان بي ود المبارك الحفلة بتتبارك وفيها ما بنتشارك

وكان بي سقاري أخير نباري

وكان بي دياب أخير الغياب

وكان بي التوم أخير النوم "

وعلى ما يبدو من قسوة التعليقـات الأخيرة لكنهـا كـانت تفهـم في إطـار الفكاهة والمزاح.

وقد فتن أحمد الطيـب النـاس بغنائـه في طـابت وفي العاصمـة وقـد حكى لي أحد ملازميه أنهم كانوا كل صباح يلتقطون عشرات الخطابـات التي ترمي بها المعجبات من فوق سور البيت الذي كانوا يسكنون فيه مـع أحمد الطيب بأم درمان.

والقصة تقول إن عابدين الفكي أحمد وهو أحد الغلاة في محبة أحمد الطيب كـان يركـب دراجـة ويسـير بهـا في أحـد شـوارع طـابت وفجـأة اعترضه طفل كادت الدراجة أن تصدمه فتؤذيه فنزل عـابدين مـن دراجتـه غاضباً وقال مخاطباً ذلك الطفل :-

"أتريد أن تموت فتبطل علينا حفلة أحمد الطيب الليلة ؟ !

فموت الطفل ليس مشكلة ولكن المشكلة هي إبطـال حفـل أحمـد الطيـب تلك الليلة!!

ونحن نختم هذا الفصل عن نادي العمال نقول إن عام ١٩٧٤م قد كان بحق هو عام الحزن في النادي إذ توفي في ذلك العام عضوان من أهم أعضائه وهما حمدنا الله عبدالقادر (اللواء) لاعب الفريق المخضرم ومعلم النجارين الأول الذي تجد بصماته في الأبواب والشبابيك القديمة المطلية باللون الأخضر وفي السحارات والأثاث العتيق الذي يزداد قيمة كلما أزداد قدماً.

ثم حسن أحمد محمد عيسى (حسن الكويرس) أحد تلامذة حمدنا الله الذي كان من المتفوقين في الإمتحان من الأولية للوسطى ولكنه لم يواصل تعليمه واتضح ذكاؤه ولطفه في العمل والعلاقات الاجتماعية.

ولقد خيم على النادي بموتهما حزن عميق وما ذاك إلاّ لهذا الإرتباط المحكم الذي أحدثه نادي العمال في النَسيج الاجتماعي لطابت.

ألاَ سقياً لتلك الأيام!

المدرسة الوسطى

في خريف غزير الأمطار من عـام ١٩٥٨م افتتحت مدرسة مشروع الجزيرة الوسطى بطابت وهذا الإسم قد أصرت عليه إدارة مشروع الجزيرة ثمناً لدعمها للمدرسة ، افتتحت في غرفة صغيرة مطلية بالجير الأصفر اسمها بيت المجلس . وكان الناظر هو الأستاذ الأمين الذي يسميه ناس طابت بـ" اللمين أب نظارات " لأنه كان يلبس نظارة سميكة دائمة.

وقد كان في أيام الإعداد للمدرسة مشمعلاً يلبس الشورت والقميص على نسق يشبه لبس الخواجات ، فالخواجات قد خرجوا منذ عامين فقط من السودان عند الإستقلال عام ١٩٥٦م فأثرهم ما يزال قوياً جداً . وبهذا يكون الأستاذ الأمين من جيل السودنة.

كان ذلك الأستاذ رجلاً جاداً حاداً قاطعاً وربما أن الهدف الذي اختير له قد كان هدفاً صعباً لا يتحقق إلاّ بكل هذه الوعورة.

ولقد كان الهدف في ذهن الأمين جلياً وهو أن يقيم مدرسة أهلية وسطى ينشئها من لا شيء ، يبني المباني ويؤثثها ويشجرها ويعمرها ويعين اساتذتها ويختار طلابها في مدة أربع سنوات ثم يضمها للحكومة في نهاية المدة ليرجع للوزارة مترقياً مشكور المسعى . وذلك كله قد حدث بالضبط.

ولقد نجح الرجل نجاحاً باهراً ومذهلاً في تحقيق هدفه المنشود إذ قد بنى مدرسة نموذجية تشهد بذلك مبانيها وحديقتها وساحاتها الممهدة وشجرها

المورق الفينان وطوبها المرصوص المطلي بالجير حتى إن بعضنا لما ذهبوا إلى الثانوي قالوا إن مدارسهم الثانوية كانت دون مدرسة طابت الوسطى.

لكني أخشى أن يكون الإنطباع الاجتماعي العام الذي تركه الرجل العنيف في القرية لم يكن إيجابياً فإخلاص الرجل لعمله وإعطائه جل وقته له لم يكن مصحوباً بلين الجانب لمن يعملون معه من الأساتذة والعاملين وأهل القرية والتلاميذ . ربما أنه كان يطلب نوعاً من الكمال لم يجده فيمن حوله . ربّما أنّه كان سابقاً يريد الناس أن يلهثوا من خلفه فلم يستطيعوا وهو لم يشأ أن يسير فيهم بسير ضعفائهم.

ويثب إلى ذاكرتي مع أستاذ الأمين مباشرة عبدا لله الحسن عيسى أو (أبوعصام) كما درج أن يسمى في السعودية الآن.

وعبدا لله الحسن هو العامل الأول الذي اشتغل مع الأمين وقد كان يعمل كالنحلة حمل مع الأمين المدرسة على أكتافه ولا زال أذكر تأثره بالأمين فقد كان كلما أراد أن يوزع على التلاميذ شيئاً واندفعوا نحوه جملة واحدة قال لهم:-

"ون باي ون"

ولا تزال في ذهني أنه كان قد خلق صداقة واسعة مع أساتذة المدرسة الأوائل وهم خالد محمد الحسن والتوم فضل المولى وكمال
وعثمان الشيخ وعثمان جبريل وغيرهم . فقد كان يدعوهم إلى بيته كثيراً

وكانت بينه وبينهم مباسطة شديدة .

وقد عمل عبدالله بالمدرسة زهاء ثلاثين عاماً ولا يضاهيه في مدة بقائه إلاّ ابن عمّه مبارك النور الذي كان يستحق أن يكون كاتباً بدلاً من عامل لولا ما وقع عليه من ظلم فقد حكى لي أنه وفي زمن سعد أمير عهد إليه سعد بإحضار الآلة الكاتبة من ود مدني مع وعد ضمني بأن يكون هو الكاتب الذي يطبع عليها . وذكر أنه أحضرها في خريف غزير اضطرته معه الأمطار إلى حمل الآلة الكاتبة في القطار من مدني إلى الحصاحيصا ثم إيصالها إلى طابت بعد عناء ومشقة ولكنه فوجيء بتعيين شخص آخر للطباعة عليها وما يزال ذلك يحز في نفسه.

ثم إنّ عبدالله الحسن هو الذي قص لي قصة رسو عطاء بناء المدرسة على المقاول حسن أحمد من الحصاحيصا وقال لي أنه وقع له بأربعة عشر ألف جنيه . ولقد كان المطلوب بناءه بهذه الأربعة عشر ألف جنيه هو : مدرسة مكونة من أربعة فصول مع مكتب كبير للأساتذة ومكتب للناظر وداخليتين وسفرة ومطبخ هذا وبالمدرسة برندة بأعمدة تشملها كلها . وبالداخليات بكل داخلية برندة واسعة أصلها من الآجر ومضروب حولها نملية من جهتين في كل داخلية مع منزل للناظر ومنزلين للأساتذة.

أرجو أن يحسب كل واحد منا بكم يمكن بناء هذا الصرح الكبير الآن؟

وأذكر أن عبدا لله قال أن حسن أحمد لما رسا عليه العطا وزع على الحاضرين مبلغاً من المال عبارة عن " بشارة " لحصوله على ذلك العقد الضخم.

لا بد أن المبلغ قد كان اشلاناً أو ريالات محدودة!

و لم يكن بداية بناء المدرسة بالنسبة لي ولأتراب اللعب خبراً سعيداً إذ قد بدأت عملية إزالة الحشائش الطويلة التي كانت تغطينا أثناء دخولنا فيها وهي حشائش (النال) التي كنا نرعى حولها أغنامنا ونختفي في داخلها ونحن نلعب.

لم تبدأ المدرسة بأساتذة كثيرين فقد كان مع الأستاذ الأمين أستاذ واحد هو خالد محمد الحسن وقد كان تخرج لتوه من حنتوب وكان شاباً وسيماً طويلاً أنيقاً فكهاً مقبلاً على الحياة ولكن لسوء حظي معه أنه كان يدرس الرياضيات والجغرافيا وهما مادتان أكرههما ربما إلي اليوم . وكنت أسقط في الرياضيات وأمر مروراً مضطرباً في الجغرافية ولهذا لم يكن حظي سعيداً معه فقد كنت أتعرض لضربه وتقريعه مراراً وهو رجل ساخر فيه لطف.

ولقد اتربط فصلنا خاصة منذ السنة الأولى بالأستاذ كمال الذي كان يدرس مادة اللغة الإنجليزية وهي مادة كنت أهواها ولقد كان لتدريس الأستاذ كمال وإخلاصه أثر غير منكور في أن نذهب مع اللغة الإنجليزية كل هذه المذاهب.

ولقد كان الأستاذ كمال هو المشرف على فرقتنا الرياضية التي اسمها (دقنة) وكان يكتب في سبورة خلف مقعده في مكتب المدرسين بطباشير ملون وبخط كبير باللغة الإنجليزية. Long Live Digna ! :

وكان كمال هو أيضاً المسئول عن فصلنا وإلى الآن أذكر أنه هو الذي درسنا الحصة النموذجية يوم ضم المدرسة عام ١٩٦٢م أمام وزير التربية والتعليم زيادة عثمان أرباب ووفد مكرم من الوزارة بالخرطوم فيهم (ناس حمر) وخواجية.

وأذكر أنه هو الذي كان يلحن لنا الألحان الجميلة من نحو:

"وما تركنا ربانا وما ضللنا المكانا

لذلك الغبار جينا نلقي عليه الأمانا

وكان ذلك بلحن وردي

في حين أن الأستاذ خالد هو الذي جاء للمدرسة بلحن:

هيهات هيهات لا جن ولا سحرة

بقادرين على أن يلحقوا أثره

أمّا اللحن (لن ننسى أياماً مضت) فقد كان معروفاً أنه على نسق أحد المارشات البريطانية.

ولقد كان الأستاذ كمال قريباً في سنه منها إذ قد تخرج من الشانوي في نفس السنة التي دخلنا فيها للفصل الأول وهو شاب أسمر طويل رشيق قوي البنية في ملامحه اندفاع وعاطفة وكان يمّوج شعر رأسه بالفرشاة يقسمه موجات قصيرة.

وقد كان لا يدخل الفصل إلاّ والكتاب في يد والعصا في اليد الأخرى . وكنا نردد معه في حماس في حصص الـ N M P ولا أنسى أبدًا :

Jack can't touch the top of the door .

ثم يمر الأسبوع ويأتي ميعاد حصة الإسبلنق وما أدراك ما الإسبلنق وحصته ... كان يشقى بها الذكي والبليد . أما البليد فلأن الأستاذ كمال يجلد على كل غلطة جلدة وعلى ذلك سيأخذ البليد حظه كاملاً من الجلد لأنه سيكون أخطأ أخطاءً تكفي لتقطيع غصن حناء كاملٍ على ظهره.

أما الذكي فقد كانت تحسب له الغلطة الواحدة بجلدتين أو بثلاث حسب ما يرى الأستاذ.

وعلى ذلك لا يخلو أحد من جلد إلاّ من رحم ربك وهم قليل.

ولقد كانت جلدة واحدة من أستاذ كمال شيئاً لا يحتمله (الرجال الكبار) كما كان يسمي بعض إخواننا من الذين مكثوا في الأولية سبع أو

ثماني سنين ، فما بالك بالصغار الذين جاءوا إلى الوسطى دون أن يعيدوا أبداً.

باختصار كانت حصة الإسبلنق من الأسباب القوية التي جعلت كثيراً منها يحفظون آية الكرسي يتحصنون بها من عصا كمال.

وذلك كان هو الجلد العادي ولكن كان هناك جلد من نوع آخر وهو الجلد (الهياجي) إذا صح التعبير وهو غالباً ما يتولد من الخطأ الأكاديمي مقروناً بما يحسبه الأستاذ سوء أدب أو احتجاج أو تحدي.

فعندئذٍ يكون الضرب بلا عدد ولا ضبط وكيفما اتفق . وأذكر إلى الآن أنه كان يضرب أحدنا حتى دخل تحت المنضدة وقد تقطعت العصا وتقطعت أنفاس الأستاذ وذاب تحدي الطفل وبدأ يتوسل في منظر يفتت الأكباد.

كما أذكر أن طالباً من الحلاوين يسمى الطيب ويلقبونه في المدرسة بـ (ذا بوي (The boy) لأنهم سألوه في أول يوم وصل المدرسة إن كان يعرف أي كلمة إنجليزية فقال نعم . فقيل له وما هي ؟ فقال : ذا بوي.

وكانت عند (ذا بوي) هذا تمتمة (تأتأة) طبيعية فقال له الأستاذ في إحدى حصص اللغة الانجليزية : قل (أيام قوينق تو ذا دور(Iam going to the door

فقال ذا بوي : أيم قوينق – أو – تو ذا دور) بإضافة (أو) التي جاءت بها بركة التمتمة فقال له الأستاذ : لا تقل (أو) تو ذا دور بل قل تو ذا دور.

و لم يكن المسكين مستطيعاً بطبعه أن يقول ذلك واترك لك أن تتصور ما كان من العقاب !

ولكن تحت هذه القسوة الظاهرية وبعد قشرتها مباشرة كانت ترقد عاطفة ومحبة عجيبة من أستاذ كمال لفصلنا . و لم نَعْرف ذلك إلاّ في ذلك اليوم الذي كان فيه أداء فصلنا في أحد إمتحانات اللغة الإنجليزية سيئاً بشكل عام . فحرمنا الأستاذ من الخروج للفطور ولكنه كذلك بقي معنا وحرم نفسه من الفطور . ولا أزال أذكره جالساً في كرسي خيزران صغير تحت ظل شجرة عند مدخل المدرسةِ الرئيسي بالقِرب من فصلنا . وعندما نادوه للفطور مع الأساتذة رفض وأذكر إلى اليوم تلك الصينية الكبيرة المغطاة بالطبق الأحمر الأنيق وما لابد أنه كان فيها من أصناف . ألم يكن الموظفون ملوك ذلك الزمان ؟

وكذلك أذكر تأثره عندما غادرنا المدرسة ولعله لم يبق بعدنا طويلاً ثم سؤاله المستمر عن مصائرنا حتى بعد ذلك بسنين طويلة.

وأستاذ التوم فضل المولى كان أيضاً أستاذاً للغة الإنجليزية وكان كذلك حازماً كحزم أستاذ كمال ولكنه درسنا لفترة محدودة وقد كان ارتباطي

بالأستاذ التوم خارج الفصل أكثر من ارتباطي به في الفصول وذلك لاتصاله بصداقة مع بعض أفراد عائلتي.

ومن الأساتذة الذين انطبعوا في ذاكرتي الأستاذ عثمان محمد الشيخ . وقد كان الأستاذ أستاذاً بحق في اللغة العربية مع أنه ليس بشيخ وأن النحو الذي تعلمناه منه قبل جعلنا لا نحتاج إلى مزيد نحو في الثانوي . وقد حبب إلينا اللغة العربية وكان مع ذلك فناناً في الكرة ولا أدري لماذا لم يظهر في قائمة أي فريق من فرق العاصمة الكبرى . فلقد لعب لنادي العمال مدة وكانت له مع أهل البلد صداقات واسعة وهو رجل ذو دماثة وخلق.

ثم كان عندنا رجل يدرس التربية الإسلامية وهو الوحيد الذي كان يلبس جلابية وعمة من بين جميع المدرسين و لم يبق اسمه في ذاكرتي لأنه اشتهر بـ " مولانا " فقط.

ومولانا كان رجلاً عجيباً ذا أطور خاصة به فهو يكتحل ويتبخر ويحمل في جيبه سوطاً صغيراً يسميه (الحبّيب) فقد طلع محمد وردي في ذلك الزمان بأغنية يقول فيها " الحبّيب قلبه طيب العوازل ضللوه " والحبيب هذا قد يلدغك وأنت غافل في رقبتك أو ظهرك أ, ذراعك أو وجهك أو في أي مكان لسبب أو بدون سبب . وكان لمولانا لازمة لفظية وهو قوله في أثناء الشرح " يعني مين. "

ولقد كانت حصته على غير ما تعودنا في تلك المدرسة التي تشبه معسكر الجنود مليئة بالفوضى ويجد فيها الطلاب مجالاً للتعليق والتفاصح على الأستاذ.

وإذا كان مولانا مراقباً لأحد الإمتحانات يستعمل مردة الطلاب جيوب قفطانه الواسع ناقلاً للبخرات من مكان إلى مكان لأنه كان يحوم وسط الأدراج وبين صفوف الفصل وكان أحياناً في أثناء الحصة يقول شطرات من أغنية لعلها لوردي أيضاً وهي-:

العهود صونوها

أوع ما تخونوها

دا حرام تنسوها

تنسوها

ثم ينفجر مولانا باكياً بكاءً شديداً حتى نرحمه و لم نكن نفهم من ذلك شيئاً.

وقد عمل شاعر الطلاب في ذلك الزمان قرشي محمد سرور منلوجاً لمولانا يقول فيه على لحن أغنية (نانا) لسيد خليفة-:

مولانا مولانا

المسجد بي ورانا

وإمامنا مولانا

دايماً يقول لينا

الدنيا خربانه!

والجمعية كلها تردد خربانة هذه وترددها حتى نتعرض أحياناً للعقاب ....

وبالمناسبة هذا المسجد قد بنى في وقت متأخر.

ومن أساتذتنا الذين لم يمكثوا معنا مدة طويلة محمد سلميان فضل الله وكيل وزارة التجارة الإتحادية الآن وهو من أبناء طابت . كان شاباً نحيفاً طويلاً مفرطاً في الطول صارماً دقيقاً ومرتباً . لا أستطيع أن أسجل منه لقصر مدة تدريسه إيانا سوى أنه جاء في حصة الهندسة بمنقلة كالتي في علبة الهندسة الإنجليزية تماماً .

وقال هل تعرفون أين صنعت هذه.

فقال الطلاب " ميد إن انقلاند"

فقال لا " ذس إز ميد إن طابت" !

صنعها الأستاذ بنفسه ... هل يا ترى كانت فكرة الإعتماد على الذات التي يدعو إليها الوكيل الآن تعتمل في ذهنه منذ أيام مدرسة طابت الوسطى في بداية الستينات ؟!

وأذكر أنه عندما ترك المدرسة ليلتحق بالمعهد الفني بكى الطلاب بكاءً عالياً!

ومن أساتذتنا عثمان جبريل أو عثمان (ابوعضل) كما يسميه الطلاب . وكان رجلاً متين البنيان قوي الساعد لا يغضب مطلقاً ولذلك

كان قريباً من التلاميذ ولكن كانت عنده عادة عجيبة وهو إنه إذا لاحظ أن أحد التلاميذ نائم أو غافل أو ناظر بالشباك لا يضربه بنفسه وإنما يعكف إصبعيه السبابة والوسطى بشكل معين وفي ذلك إشارة للطالب الـذي يجلس وراءه أن يضربه على رأسه بأصبعيه السبابة والوسطى وقد كانت بعض هذه الضربات خطيرة جداً تدخل فزعاً ومفاجأة على الطالب الغافل وأذكر إلى الآن دموع فارس فصلنا أحمد فرج الله من تلك الضربة التي سددها له هجام! وهجام هو أحمد الطيب محمد الشيخ وسمى بذلك لضخامة جسمه وشكله السلطوي حتى إن الأساتذة كانوا يعملون له ألف حساب ثمّ إنه إلى ذلك كان ممتازاً في دروسه وكان الأول لسنوات.

وعلى ذكر الطلاب فمن أشهرهم الطلاب الذين قبلوا بالدفعة الأولى أذكر منهم رزق الله بابكر والرضي قسم الله . الذي كان رحمه الله صاحب ذاكرة فتوغرافية تصور الأشياء؛ ومن عباقرة المدرسة عمر مكي أخ الدكتور المعروف حسن مكي وهو الآن طبيب اختصاصي وجمال يوسف مساعد ومن الطلاب الذين شردوا وحز تشريدهم في نفسي وأنا بعد تلميذ صغير:
حب الله وهذا لم يزل به أحد الأساتذة يضربه ويهينه حتى ترك المدرسة وإلى الآن لا أدري ما السبب ولقد تركها منذ أول سنة ثم إن شاباً اسوداً طويلاً نحيفاً مسكيناً اسمه حسن سليمان .. كان أحد أساتذتنا لا يناديه إلاّ بحسن سحيمان !! ولقد كانت في تلك الأيام يد الأساتذة مطلقة يفعلون بالتلاميذ ما

يشاءون وعلى الرّغم من أن الأهداف الأكاديمية في مجـال التحصيـل والمناشـط المدرسية قد كانت عاليـة وبديعـة لكـن قـد كـان العقـاب فيمـا اعتقـد قاسـياً ومتجاوزاً للحد وقد سألت مختصاً في التربية فعزا ذلك إلى أن هـذه القسـوة في العقوبة منقولة للمدارس من الخلاوي إذ قـد كـان الشـيوخ يضربـون التلاميـذ ضرباً مبرحاً . وعزا آخر ذلك إلى شكل العقاب الموجود في المجتمع الذي كان كبار السن بصرامتهم المعروفة في المجتمع السـوداني يقهـرون بـه الصغـار وهـم يربونهم وذلك راجع في نهايته إلى جفاء البداوة التي لم تمسها يد التقويم بعد . ذلك أن معظم أساتذتنا الذين أوردت ذكرهم قد جاءوا مـن المدرسـة الثانويـة إلى الفصل للتدريس مباشرة بدون أن يتلقوا تد ريباً في مجال التربية . ولكن إذا كان ذلك في شأن هؤلاء فكيف نقول في الأساتذة الكبار المدربين الذيـن لا يقلون قسوة عن سابقيهم أهو اتجاه عام في المجتمع فيمـا يتعلـق بتربيـة الصغـار ذلك سؤال يجيب عليه المختصون وإلاّ فليقولوا لي ما هو مسوغ ما رأيت بـأم عيني في فصلنا:

وهو أن طالبين جارين كانا يتشاغبان في حصة أحد الأساتذة فجرح أحدهمـا الآخر بموسى كان يحملها جرحاً طفيفاً والأسـتاذ يـدرس . فلمـا رآه جـاء إلى مكانه وأخذ الموسى وهو هائج وجعل يشرح بها يدي الطالب المعتدي تشريحاً انسكب معه دمه إنسكاباً ثم إن أحد الأساتذة أقسم ليضربن طالبـاً كـل يـوم

عشرة أسواط .واستمر الطالب يأتي ليأخذ حصته اليومية من الضرب حتى إذا انهار احتماله ترك المدرسة.

ولقد كان يوم ضم مدرسة مشروع الجزيرة الأهلية الوسطى بطابت إلى الحكومة يوماً مشهوداً سبقه إعداد . فقد إزينت المدرسة وأخذت زخرفها - شكراً للجهود المضنية - التي قام بها الأستاذ الأمين وكوكبة الأساتذة الذين كانوا معه ولشدة ما تعبنا في الإعداد لذلك اليوم ظن بعضنا أنه لن يأتي أبداً .. وغداً سيكون يوم ضم المدرسة - ما نام أحد تلك اليلة وقد بلغ الإعداد ذروته وفي هذا الأثناء والناس كلهم توجس وترقب جاء أحد التلاميذ لاهثاً ليخبر الناظر أن جدول الحديقة قد انفجر فانفجر معه غضب الناظر وحماك ا لله من غضب نظّار ذلك الزمان وسأل " اين الجنايني " وبدا الجانيني من بعيد ويبدو أنه قد (زاغ) ليستجم في بيته قليلاً فلما وصل إلى حيث الناظر بادره الناظر بصفعة على وجهه أطارت صوابه وعندما أصبح الصباح في حوالي السادسة والربع والاحتفال في حوالي الثامنة جاء أحد الرجال من القرية وهو يلبس جلباباً نظيفاً وعباءة من الدمور الأصيل وعمامة وشال ويحمل عصاه شكله احتفالي أبت نفسه إلا أن يشارك المدرسة في هذا الاحتفال العظيم فهل كانت القرية إلاّ المدرسة وأين سيذهب هؤلاء اليوم إن لم يذهبوا إلى المدرسة.

وفاجأنا الناظر بطـرد ذلـك الرجـل وانتهـاره قـائلاً لـه : " تعبنـا هـذا كلـه لم تشاركونا فيه وجئتم اليوم لتحتفلوا ... إذهب فإن مواعيـد الاحتفـال لم تحـن بعد) .

وعلى رأس الساعة الثامنة عزفت موسيقى البوليس التي جاءت مـن ود مدني بالقرب من سياج المدرسة المشجر بالعوير أغنيـة (لـو بـالصد أبيتـني) ووقف الجميع انتباه وأذكر منهـم بشـكل خـاص شـيخ أحمـد الجيلـي بقامتـه القصيرة النشطة وهو يلبس توب وعراقي وسروال وعمامة . ثـم نـزل الوزيـر زيادة عثمان أرباب وقتها في وفد ضخم وعربات وهيلمان . ثم قـرع الجـرس ودخلنا الفصول فمر على الفصول وحضر معنـا جـزءاً مـن حصـة وأذكـر أنـه كان في صحبتهم ست ثم انتقـل الجميـع إلى صيـوان عظيـم نصـب في الجـزء الجنوبي الغربـي مـن المدرسـة بحزاء بيتنـا . وجـاء الرجـال يخطبـون ويدبجـون القصائد وضمت المدرسة حينما أعلـن ذلـك الوزيـر مثنيـاً علـى تلـك الجهـود الجبارة.

ثم التحم الجميـع في احتفـال تلقـائي علـى أنغـام ألات النفـخ المطربـة للفرقة الموسيقية ... وكان يوماً من أيام القرية .

لم يبق شيء في ذاكرتي من المدرسة الوسـطى سـوى شـخصية كـانت مثيرة للجدل وهي شخصية الأستاذ سعد أمير طه ناظر المدرسـة الثـاني الـذي خلف الأستاذ الأمين على إدارة المدرسة.

سعد أمير من أجمل الرجال الذين رأيتهم في حياتي ومن أشد الرجال أناقة واهتماماً بالهندام.

فقد كان متناسق الأعضاء بهي الطلعة يقص شاربه بشكل بديع يجعلك تنظر إليه وأنت تفكر ربما في يوسف الصديق . كأن ملابسه قد خلقت في بدنه كأنه لا ينزعها ثم يلبسها كسائر الناس . ويلبس دائماً حذاءً من (الربل) فهو ليس من الذين يسيرون سيراً عنيفاً مزعجاً اعتباطياً وإنما يمشي كالقط.

وقد كان رياضياً يشارك الطلاب بنفسه في ميادين الرياضة وخاصة الكرة الطائرة.

عقدت معه إحدى الصحف الحائطية في المدرسة في ذلك الزمان لقاء ذكر فيه أن عمره أربعة وثلاثين عاماً.

وكل ذلك ليس هو مصدر قوة هذا الرجل وإنما مصدر قوته في الطريقة التي يودي بها الدرس . الحصة عند سعد أمير كالحلم الجميل - أشنع شيء في حصة سعد هو صوت جرس ختامها.

وكأن الرجل كان يعرف ذلك فيضع الطباشيرة في ثانية ونصف تقريباً قبل أن يقرع الجرس . وإذا تأخر الجرس فالمشكلة مشكلة الفراش . عندما درسنا العهد العباسي نسينا أننا في طابت وعشنا معه في الكرخ والبصرة.

ولما درسنا أحمد شوقي نقلنا معه إلى منتديات الأدباء في القاهرة في الثلاثينات - وهو يقرأ - سلوا قلبي غداة سلا وتابا لعل على الجمال له عتابا.

وقرأ لنا من النثر من منثور أحمد زكي:

يعجبني الشباب ... إذا....

وسرقت طريقته في الإلقاء حتى إذا تخرجت من الجامعة أدخلتني الإذاعة وسرق منه أخونا عبدالجبار المبارك الخط فهو الآن من أحذق خطاطي السودان . وأخذ منه أخونا عمر مكي هواية قراءة المجلات والصحف التي كان يقرؤها بنهم وهي التي صنعت حسن مكي أخاه الأصغر الذي وجدها في البيت فصار من أبرز مفكري السودان الآن .

ملأ الأستاذ سعد أمير المدرسة حيوية وأدخل نظام الجمعيات الصباحية ولعله مما أخذه من بخت الرضا.

فكانت المدرسة من حوالي السادسة والنصف كخلية النحل لقد كانت المدرسة عالمنا الصغير كلنا نحن ومدرسينا لم يكن المدرسون يفكرون كما يفكرون الآن في السفر إلى الخارج أو تحسين الأوضاع المعيشية لأن الناس ما كانوا يعرفون أمتع من واقعهم وما كانوا يحتاجون إلى تحسين شيء فأوضاعهم كانت غاية في الحسن.

كنا وأساتذتنا ندخل المدرسة في السادسة والنصف صباحاً ونخرج منها بعد المذاكرة في حوالي التاسعة وبعضنا يسهر زيادة يسرق ذلك سرقة من مراقبة المراقبين.

ولي ملاحظة صغيرة وهي أن المدرسة على فوارتها وحيويتها لم يكن بها مسجد إلاّ بعد مدة متأخرة و لم يكن هنالك حث على صلاة الجماعة وكان الحض على النظافة شديداً ولكنها نظافة و لم يكلمنا أحد عن الطهارة مطلقاً.

تلك ايام مضت بخيرها وشرها ووجدت صورة للمرحوم سعد أمير عند عمي عبدا لله في طابت والصورة مأخوذة في لندن يلبس بالطو أبيض وتطير حوله حمائم بيضاء كثيرة وكذلك طارت تلك الحمائم التي كانت في طابت الوسطى في يوم من الأيام كل إلى مستقره ومصيره.



احمد السنى



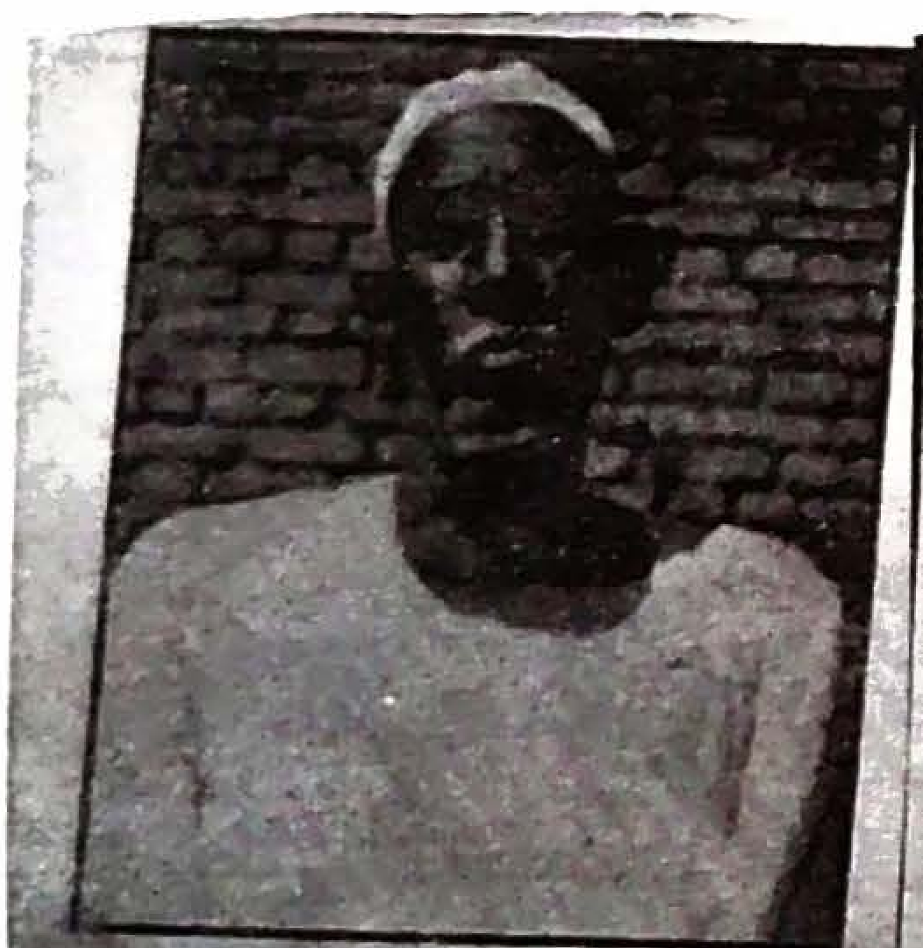
كابتن بشير البدوى يستلم الكأس
من العمده السمانى ويرى السمانى الطيب



حاج بابكر عبدالقادر دكين



الشيخ هاشم الشيخ عبدالمحمود



الفكى النور



محمد الاحمر



سعيد محمد احمد (كلوس)



حامد عبدالله



الفنان أحمد الطيب

وليالى الفرح الخضراء

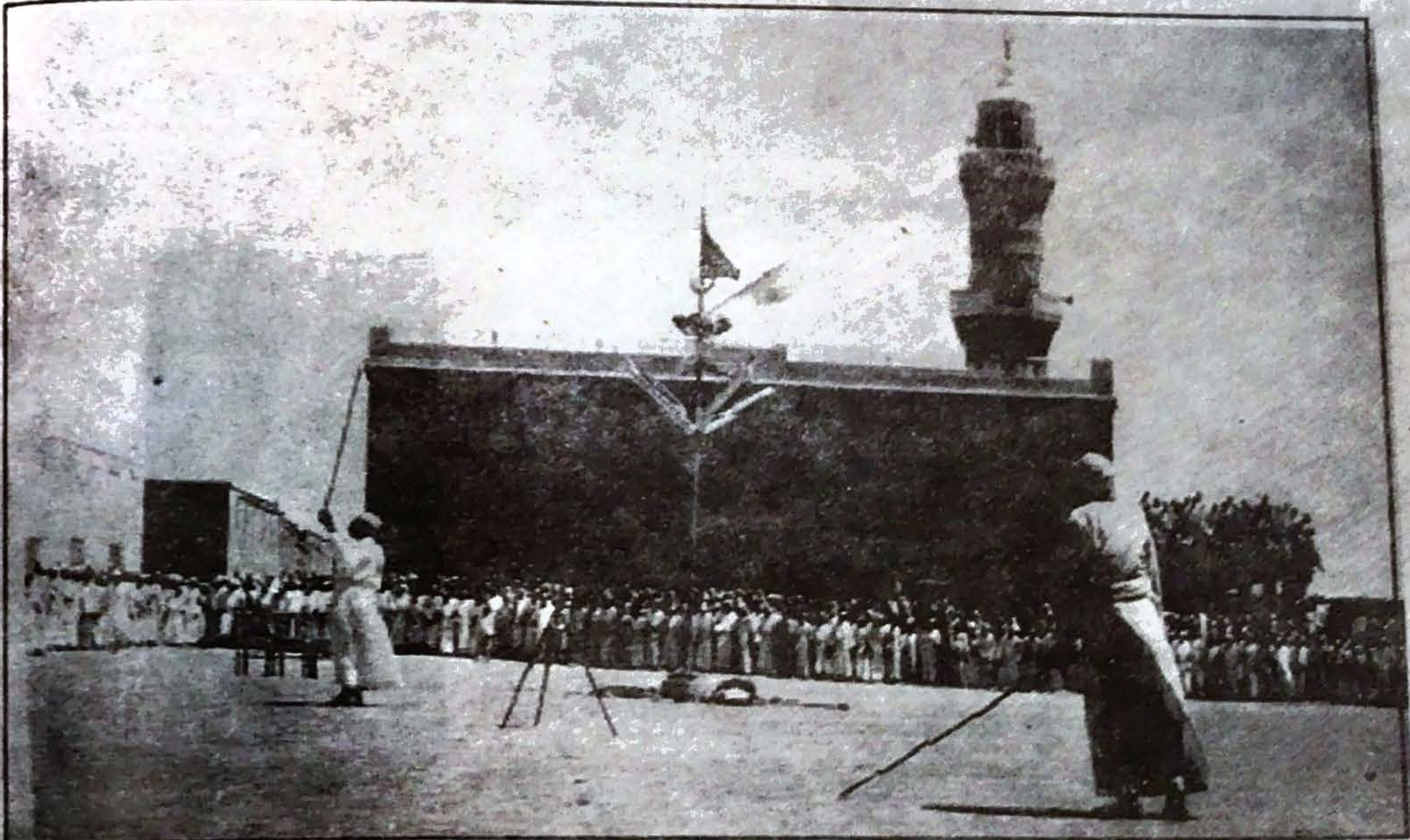


محمد على ادريس



البخيت ودعلى

مسجد طابت العتيق



ناس السوق

هذا التعبير في طابت يقصد به التجار من غير أهل المنطقة ممن ارتبطت حياتهم بالسوق.

وهي كلمة شبيهة بكلمة (جلابة) التي تطلق في غرب السودان على أهل (البحر) الذين جاءت بهم التجارة إلى هناك . والعيش في السوق عيش غير رغد ، خاصة إذا كان دكان الشخص هو بيته.

وقد سمعت بعض من يرى نعمة على صاحبه ويتوق إليها ولا يدركها يقول:

"بختك ... لكن نحن لينا ا لله وعيشة السوق"

وقد بدأ ناس السوق في السوق ولكنهم بعد أن انتعشت تجارتهم واستقروا ، اشتروا الأرض وبنوا المنازل وأصبحوا جزءاً من مجتمع القرية.
ثم تطور مفهوم (ناس السوق) ليصبح فيما بعد موقفاً إجتماعياً وسياسياً ودينياً.

ذلك أن معظم ناس السوق هؤلاء من أهل شمال السودان من الشايقية والدناقلة والجعليين فهم من ناحية اجتماعية مختلفون عن أهل البلد الذين هم في معظمهم جموعية.

أما من الناحية الدينية فإن ناس السوق ينتمون أو أنهم يفترض أن ينتموا إما إلى الطريقة الختمية أو العجيمية في حين أن أهل طابت ينتمون أو

أنهم يتوقع أن ينتموا للطريقة السمّانية . إذ أن طابت هي إحدى المراكز الكبرى للطريقة السمانية في السودان.

وقد بدأت بذور هذه المدافعة بين (ناس السوق) والآخرين منذ نهاية الأربعينات من هذا القرن وبداية الخمسينات منه بعد انتشار الراديو على النطاق الشعبي وبعد أن أصبحت تبث من خلال المذياع فتاوى القاضي أو المحكمة الشرعية بخصوص بداية ونهاية شهر رمضان ولقد كان خليفة السجادة السمانية وقتئذٍ هو الشيخ الجيلي ابن الشيخ عبدالمحمود نور الدائم جد الشيخ الجيلي الحالي وقد كان عالماً ثبتاً وكان يرى الأّ يصوم الناس أو يفطروا بناء على فتوى القاضي التي تذاع من الراديو . ولكنه رأى وجوب الصوم والإفطار بناء على رؤية الهلال في المنطقة مستنداً إلى حجج وبراهين وأدلة فقهية.

ولأن الراديو كان إذا أذاع بداية شهر رمضان أو نهايته يقول : " ثبت لدينا شرعاً " أصبح الناس الذين يصومون ويفطرون بحسب ما يذاع في الراديو يسمون (بجماعة ثبت) ولأن الثاء لا تنطق على الوجه الصحيح في الدارجة السودانية فإنهم يقال لهم جماعة أو ناس (سبت) بالسين المهملة . أما من يصومون مع الشيخ فهم ناس الشيخ.

وعلى ذلك انقسمت البلد إلى قسمين قسم يصوم مع الشيخ ويفطر معه وصومهم يسمى صيام الشيخ وعيدهم يسمى عيد الشيخ.

وقسم اخر صيامه يسمي صيام سبت او صيام النتيجة او صيام ناس السوق وكذلك عيدهم .

وهذا الإنقسام كائن إلي الآن في الصيام وفي عيدي الفطر والأضحي، ونسبة للمؤثرات الخارجية علي الناس في طابت من تعليم وإذاعة واختلاط بالمجتمعات الأخري بسبب السفر والتجارة والعمل خارج نطاق القرية ثم بسبب المنافسة المحلية التي ولدتها المساكنة إنضم جزء كبير من أهل البلد إلي ناس السوق في صيامهم وفطرهم وأضحيتهم ليصبحوا جميعا من ناس (سبت).

ولعله من المهم أن نشير إلي أن بعض البيوت من أهل الشيخ عبدالمحمود قد أصبحوا يصومون ويعيدون بحسب مايجيء في الإذاعة ومنهم علي سبيل المثال أسرة الشيخ السماني التي لم تكتف بالإلتزام بصيام الإذاعة وفطرها بل بادرت بإقامة صلاة عيد غير صلاة عيدالشيخ المركزية .

وقد روي لنا أن الشيخ السماني كان يقول لمن يصر علي رؤية الهلال في شأن الصوم والفطر:" كيف ترون الهلال؟ وجميعكم ضعاف البصر من سوء التغذية وأكل الويكة ؟.

ولقد كانت نقطة الخلاف حول الصوم والعيد هي النقطة الفارقة التي خلقت في طابت تيارين أساسيين تصارعا فيما بعد ، تيار من حول السجادة الصوفية وتيار بقيادة ناس السوق .

وأقول عن التيار الأول أنه من حول السجادة لأن السجادة الصوفية بقيادتها الدينية كانت دائما تنأي عن الدخول في الصراع المباشر وإنما الذين يتصارعون هم المنسوبون إليها من أتباعها المدافعين عن وجهة نظرها.

ولقد بلغ الصراع بين هذين التيارين أعلي درجاته في انتخابات عام ١٩٦٨م عندما ترشح للبرلمان المرحوم الشيخ محمد عظيم الشيخ عبدالمحمود ابن الشيخ عبدالمحمود نور الدائم ضد بدوي عبدالقادر أبو أدريس المعدود بحسب تحليل هذا البحث في ناس السوق .

والغريب في الأمر أن الرجلين كانا ينتميان للحزب الإتحادي الديمقراطي وكان يبدو لأول وهلة أن الصلح بينهما علي تنازل واحد منهما للآخر وارد جدا ، وكان كل الناس يظنون تلقائيا أن بدوي وهو شاب صغير حينئذ سيتنازل للشيخ محمد عظيم بل ويعمل معه لسقطا معا ندهما التقليدي مرشح حزب الأمة.
ولكن تبين فيما بعد أن المتناقضات الاجتماعية في ذلك المجتمع الصغير التي كانت تحت الأرض قد بدأت تطل برأسها بعد أن أنضجتها سنوات من التململ .

وقد أعطى دخول قبيلة الخشماب وهم من اهل البلد الأصليين الذين يعتزون بأنهم هم الذين (قطعوا لعوتها وذاقوا موتها) .. أعطى دخولهم حلبة الصراع المكشوف إلى جانب ناس السوق بعداً دراميا جديداً للمعركة ولقد حاول الحزب في الخرطوم أن يوحد مرشحه وجاء لهذه المهمة الشاقة أحمد السيد حمد الذى كان وزيراً للتجارة في ذلك الوقت . ولما ذهب إلى بيت الشيخ أحيط به ورفعت فى وجهه (السفنجات) رمزاً لفضيحة كوتة السنجات فى وزارة التجارة التى تولى كبرها هو .

وأعجب لهذا الوعى السياسى الكبير في ذلك المجتمع القروى الصغير ! وانتهى الأمر بأن انحاز الحزب في المركزية لمرشح ناس السوق واعتبر الشيخ مرشحاً ينزل في الدائرة على مسئوليته الخاصة .

وقامت حملة انتخابية رهيبة ملتهبة كادت أن تعصف بالأمن الاجتماعى في القرية الآمنة .

وجاءت النتيجة عاصفة مدوية كالبركان إذ فاز مرشح ناس السوق !

وكان ذلك كما يقول الشاعر الإنجليزي ييتس مثل وضع السكين على الحبل الذى يمسك المجتمع ومن ثم تبعثرت الأشياء . ولقد كانت أهم ثمرات تلك الانتخابات أن قامت مشيخة قرية خاصة بالخشماب وعين ابراهيم درب الديم شيخاً لقبيلة الخشماب وأصبح يندرج تحت هذه المشيخة ويواليها حلفاء الخشماب وهم ناس السوق . ولقد كانت الشياخة - شياخة القرية الادارية- عند غيرهم منذ أن كانت طابت .

ولقد كنت أتصور أن ذلك لم يكن إلا كالقشة التى قصمت ظهر البعير. لكننى كنت ألمح الإنقسام في مجتمع القرية منذ وقت طويل . فلقد كان في القرية ناديان نادي الأهلى ونادى العمال . ونستطيع أن نقول بشكل

قاطع أن نادي الأهلي هو نادي جهة الشيخ وأن نادي العمال هو نادي ناس السوق وحلفائهم الجدد الخشماب الذين ينظرون بتوجس نحو الجهة الأخرى . وأن المدارس الحديثة مثل المدرسة الوسطى والمدرسة الإبتدائية ومدرسة البنات والشفخانة والمؤسسة الزراعية التي رئاستها خارج طابت والسوق والقهوة كلها تصب في نهاية الأمر في تيار يمكن أن نسميه التيار الحديث المتحرر أو قل التيار ذي الصفة العلمانية الذي تولد بشكل طبيعي بحسبانه ثمرة من ثمرات الفكر البريطاني الذي ساد بعد سقوط الخرطوم في نهاية القرن التاسع عشر وإذا نزلنا به قليلاً فهو تيار المدن وتيار الأفندية الذي كان ينظر إلى المؤسسات الدينية التقليدية على أنها غير مواكبة وغير مفيدة وظالمة.

وأنا أظن أن الذي أعطى هذا التيار في طابت في نهاية الستينات الجرأة على تحدي المؤسسة الدينية هو أن البلاد كلها كانت قد خرجت لتوها من ثورة شعبية عارمة هي ثورة أكتوبر عام ١٩٦٤م وهي هياج متعطش للتغيير كان فيه غير قليل من الروح الإشتراكي الذي كان يناصب مؤسسات المجتمع التقليدية عداء مكشوفاً سافراً ويعتبرها مستغلة للأهالي ومتحكمة فيهم باسم الدين.

السوق :

لقد بـــدأ السوق في طابت عام ١٩٢٩م وهو العام الذي وصل فيـه (الباجور) إلى المنطقة وبدأ عششاً صغيرة تطور فيما بعد ليصير دكاكيناً مبنية بالآجر ومسقوفة بالخشب.

و لم تكن بداية سوق طابت بداية موفقة إذ أنه بدأ في أعوام الكساد في الثلاثينات التي كانت بين الحربين العالميتين الأولى والثانية.

واندفع اندفاعــاً قويــاً للأمـام بعـد عـام ١٩٥٢م عندمـا قـررت شـركة اقطـان السودان صرف دفوعات مجزيـة للمزارعـين وهـي تنفـض يدهـا عـن مشـروع الجزيرة وعينها على عام ١٩٥٦م عام الإستقلال.

ولقد كانت السنوات الأولى من الخمسينات سنوات رفاهيـة لمزارعـي الجزيـرة وهي ما يسمونها محلياً بسنوات (حمّي) وهي الأعوام الـتي حـج فيهـا معظـم الحجاج ممن أصبـح لقـب حـاج جـزءاً مـن أسمـائهم إذ كـان الحـج نـادراً ولا يستطيعه كل الناس مما دفع بمن حجوا في تلـك السـنوات إلى صفـوف المجتمـع الأمامية.

كما أنه قد تمت في تلك السنوات زيجات ثانية كثيرة خرج بها المزارعون عـن نطاق الزواج في قراهم إلى الزواج من المراكـز الحضريـة مـن حولهـم في مدنـي ورفاعة والكاملين والقطينة وأم درمان ومعظم ثمرات هذه الزيجات الثانيـة مـن

الرجال والنساء أعمارهم الآن قد تجاوزت الأربعين وأصبحوا أذرعاً لهؤلاء القرويين في تلك المراكز الحضرية وجلهم مثقفون وقادة في مجالاتهم المختلفة.

ولا يفوتني هنا أن أحكي ما رواه لنا أخونا الوزير جلال الدين المراد من الكاملين من أن أحد دعاة الإكثار من الزواج في تلك الأيام قال:-

" عجبت من أمر رجلين أتيا إلى الكاملين أحدهما ذهب إلى السوق واشترى بقرة والثاني ذهب إلى المدينة وتزوج امرأة وكلاهما دفع ثلاثين جنيهاً وبعد عام واحد كان لهذا عجل ولهذا ولد ... ما أعظم ربح صاحب الولد!!"

وتروي الأقاصيص عن كيف تعامل مزارعو الجزيرة مع أموال القطن التي فاجأتهم وعن اسرافهم في الصرف في وجوه كثيرة بعضها غير ضروري وغير لائق . وأن بعضهم كان يركب التاكسي من ود مدني وعندما يصر صاحب تاكسي آخر على أن يأخذ المشوار يطيب خاطرهما معاً ويقول لهما (واحد أركبه والثاني يضرب البوري) .

وقصة من وُلد له طفل فغطاه بالأوراق المالية ومن اشترى ثلاجة واتخذها خزانة لملابسه ... مما قد يتزيّد فيه الناس ويتفكهون به والذي لا يخلو من تحامل وحسد لأهل الجزيرة.

واستمر الحال سعيداً في سوق طابت حتى جاء حكم الفريق إبراهيم عبود الذي يعد في السودان بشكل عام فترة رخاء لكنه لم يكن كذلك بالنسبة لمزارعي الجزيرة وذلك أن حكومة الفريق عبود اتجهت نحو بناء امتداد المناقل

وأهملت مشروع الجزيرة القديم إهمالاً تاماً ولقد عاصرت تلك الفترة الشاقة ما بين عام ١٩٦٠ - ١٩٦٤م وكيف أن المزارع لم يكن يجد شيئاً مطلقاً وساءت حالة المزارعين الإقتصادية إلى درجة وصلت حد الإدقاع وقد سمعت بعضهم يتكلم مع آخر وهو يسأل إن كان عنده لبن فقال له :-

"وا لله يا أخي نحن لا نرى البياض إلا في القمر "!

وبالمقابل كان هبوط اسهم سوق طابت لصالح صعود اسهم اسواق الناقل والعزازي وأبوقوتة ومن لم يسمع بكلمة (عزازي ربّك) ؟

ونقل كثير من تجار طابت تجارتهم إلى العزازي بل إن بعض الأسر انتقلت بكاملها إلى هناك واستوطنت في العزازي وأذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر الكعك وعوض الكريم حمزة والمرحوم الدالي وعبدالوهاب محمد الحسن وعبد الزبير . كما كان فيها من الحرفيين حمد بابكر وبشير البدوي والمرحوم حسن أحمد بينما انتقلت أسر أخرى إلى أبي قوتة وهي أسر إبراهيم محمد خلف ا لله وعمه الطاهر خلف ا لله وابن اختهم صديق العبيد الذين اغتنوا غني واسعاً وانتقلوا من ثم للخرطوم . كما كان في أبو قوتة صديق الأمين والعاقب حسن.

ثم انتعش السوق مرة أخرى بعد ثورة أكتوبر وخاصة في الأعوام من ٦٥ - ٦٩م أيام كان الشريف حسين الهندي وزيراً للمالية . والمزارعون ينظرون إليه على أنه نصيرهم الأول وهو الذي (دفق عليهم المال دفقاً) كما

يقولون وفي أيامه فتحت الأسواق على الدنيا كلها وخاصة الصين وانتشرت الراديوهات الرخيصة وثياب الجارات والقماش القطني ذو النقشة الراقية والسعر الزهيد المعروف بـ (أبو ريال) لأن المتر منه كان بريال واحد ذلك علاوة على التو باي تو والبوبلين أبو ثلاث تفاحات إلى درجة أن بعض المزارعين كان يهتف :-

"كان ما هندينا كُنّا عرينا"

نستطيع أن نقسم ناس السوق في طابت إلى مجموعات أساسية هي : الجعليون والشايقية والدناقلة.

وقد جاء الجعليون إلى طابت بقيادة عوض الكريم خالد وعباس الحسن وجاء معهم أو بعدهم بقليل أحمد مصطفى المقلي وعثمان العياش وفكي عبدالرحيم والد الأخ حبيب عبدالرحيم وحاج خالد والطيب النور وعلي النور وابنهم الشهير ود الطيب ومحمد أحمد الرفيق وسليمان الفحل وأخوه أبوجمال والشم وعبدا لله جانقي ومحمد أحمد ود الحداد وأحمد عطية وأولاد حمزة الدالي أحمد وعوض الكريم وعوض وعبدا لله كنتوش ، والزبير سعيد ومحمد سعيد وأبودومة وعثمان الدرديري والطيب الفحل .

أما الشايقية فهم عوض السيد محمد عيبدا لله وحامد عبدا لله وحسن محمد خير وجعفر محمد خير ودينكاوي وإبراهيم كبير وعلي إدريس ومحمد خير الصائغ ومحمد خير الشايقي وحكمة زوج جارة . وعلي حسن الشايقي

الذي تزوج حبوبة زهراء بت الأعسر وكان رجلاً سقاءً يرد عليك التحية إذا سلمت عليه بصيغة السلام كاملة . فلو قلت له السلام عليكم يرد عليك قائلاً وعليكم السلام ورحمة الله تعالى وبركاته . هذا وفي الغالب لم يكن الناس يقولون السلام عليكم بل كانوا يقولون " إزيّك " " كيف حالك " وما تعرفون من تحايا ذلك الزمان ولكنه بأي تحية حييته فهو يكمل لك جملة السلام إلى وبركاته.

ومن الناس من لم يكن يحب لفظ " إزيك " وهو عمنا سليمان ود موسى رحمه الله فإذا قلت له " إزيك " يقول لك " هذا زيي الذي تراه أمامك" !

وبحسب ما سمعت من الروايات فإن الجعليين كانوا أول الناس قدوماً لطابت من خارجها وتلاهم الشايقية ثم الدناقلة.

والدنقالة اسم لمجموعة من أهل العفاض تنحصر في غالبها في بيتين اثنين هما بيت أحمد علي الحاج وأحمد كوكو وأصهارهم وأقاربهم ساباوي وعثمان ميرغني وعبدالله ميرغني ثم عبدالعاطي ركاب ومحمد صالح وهم يقولون إنهم ليسو دناقلة ولكن غلب عليهم هذا الاسم.

ومن المجموعات الأخرى تحت هذا المسمى مجموعة قديمة هي مجموعة علي حمودي وود جميل ثم هناك مجموعة البديرية وهم إسماعيل وأخوه كبانية وخضر ابراهيم والسر والتيمان وكان منهم أولاد جكنون وسعيد وسيد أحمد والمرحوم أحمد الشيخ .

أمـا صالح الذي يعمل في الستلين فهــو الدنقـلاوي الأصـل الوحيـد بينهـم ولقد كان لهـذه المجموعـات إتصـال يضعـف ويقـوى بـأهل البلـد واعتقـد أن مجموعة الجعليين والشايقية بدون تفاصيل هنـا وهنـاك تعتبر أكثر قربـاً لـروح البلد وأكثر إختلاطاً بأهلها على النطاق الأسري والاجتماعي.

على أن المجموعة الأخرى لهـم علاقـات اجتماعيـة أكثر علـى النطـاق العام في السوق والمدارس والأماكن العامة.

وقد كانت زيجات بين أهل البلد والجعليين والشايقية ولكن لم يحـدث ذلـك مـع الدناقلـة . وموضـوع التزواج بـين المجموعـات المختلفـة ومـدى إنصهارها في بعضها هو ما يشغل بال علماء الإجتماع . ولقد صار عم حامد عبدا لله وعبدا لله جانقي وأحمد حمزة الدالي وابرق يمثلون عرقاً خاصاً في نبـض القرية الإجتماعي.

وعلى نطاق المثقفين يأتي عبدا لله المقلي في الصدارة يليه أحمد الصعيل وإبراهيم عثمان.

ثـــم إن هـنـــالـــك مجـــمـــوعـــــة لا تنتمى لأهل القرية عرقياً ولكنهم ليسوا منتمين كذلك للمحموعات الشمالية الموصوفة من قبل والسبب في ذلك أنهم لم يهـاجروا إلى طـابت مـن الشـمالية مباشرة ولكنهـم هـاجروا إليهـا بعـد هجـرة سـابقة قديمة إلى مكـان آخـر في

الجزيرة مما جعل أصولهم في الشمالية تندثر تقريباً وهؤلاء هم اسرة أبو إدريس وأسرة الأمين عبداللطيف وأسرة أحمد عبدا لله بكر.

ومع هؤلاء عمنا محمد أبو عاقلة الذي هو عركي ولكنه نسيب للأمين عبداللطيف .

ولقد انحصر نشاط آل عبداللطيف وآل أحمد عبدا لله في النشاط التجاري والعلاقات العامة مع الناس.

ولكن أسرة ابو ادريس أسرة شاركت مشاركات معلومة في المجال السياسي والاجتماعي.

فديوانهم الكبير المفتوح على الشارع الرئيسي في البلد يحتل مربوعاً كاملاً والذي يعتبر المركز الأول للحزب الإتحادي الديمقراطي وعلاقة والدهم عبدالقادر أبوادريس بإسماعيل الأزهري والهندي وثراء والدهم العريض أهلهم في فترة من الفترات للقيادة السياسية والاجتماعية بل إن من ذلك المكان انطلقت انتخابات ١٩٦٨م مترشحاً فيها ابنهم بدوي للدائرة مما كان له ما بعده في حياة القرية السياسية والاجتماعية.

ولقدكان في السوق مجموعة من ناس الحلفاية رحلوا جميعهم في السبعينات إلى الحلفاية.

وأشهرهم ناس تمساح وناس داموس والخليفة محمد علي ومنهم عبداللطيف الجزار (والد الاستاذات) وعبدالرحيم الزمباري (راجل بت

حنينة) وأحمد إبراهيم و (أم فولة) السواق وعبدا لله السوداني وهو الوحيد الموجود الآن في طابت . وأولاد الهاشم وعلي عبدا لله والنذير الجزار ولأنهم أصلاً أهل عاصمة فقد كانوا متميزين على الآخرين كانوا أكثر تحضراً.
ولأنهم كانوا يتوقون إلى الرجوع إلى الحلفاية فإنهم كانوا كالمغتربين

لم يتزاوجوا مع الناس هناك وباعوا كل أملاكهم ورجعوا رجوعاً شبه جماعي إلى وطنهم الأول.

وهذه ظاهرة جديرة بالنظر لأن (ناس السوق) الآخرين لم يرجعوا وإن رجع بعضهم فرجوع فردي . وقد يرجع الفرد وتبقى الأسرة وهناك أسرة حسب النبي وهم من بربر وأولادهم الآن في معظمهم تجار وبرزت منهم الدكتورة فاطمة مختار حسب النبي وهي اخصائية أطفال رفعت هي وأحمد الأمين الشيخ أخصائي الجراحة اسم طابت في السبعينات عالياً عندما تخرجا بامتياز من كلية الطب جامعة الخرطوم وهي متزوجة من الوزير علي محمد عثمان يسن بوزارة الخارجية.

وهؤلاء اختلطوا بالزواج مع اهل البلد وأتصور أنه لو مر عقد من الزمان بعد الآن يصبحون جزءاً أصيلاً في بنية طابت ومن بربر أيضاً أسرة عمنا ونسيبنا عبدالقادر الجعلي .

وهناك أسرة منفردة بمعنى إنني لا أستطيع أن اصفها في أي القوائم السابقة . وهي أسرة حسن عبدالغني . وهي أسرة من أبي حراز من مدني وجاءت منذ نهاية الأربعينات وبقيت في طابت إلى الآن . وهي مكونة في اساسها من حسن عبدالغني وأخيه صديق عبدالغني وقد بدأ نشاط حسن عبدالغني التجاري في نهاية الأربعينات بطبلية هو وصديق عمره إبراهيم الطيب حامد وكانا وقتها شابين صغيرين كانا يعملان ويسكنان معاً ويتحركان في كل الاتجاهات معاً . ويسافران للبضاعة في صحبة بعضهما ونشأ بينهما إخاء انتقل فيما بعد لأسرتيهما . ثم نقلا الطبليات منذ بداية الخمسينات إلى دكاكين واستقرا وأثريا ثراءً عريضاً في منتصف الستينات ثم إنهما لم يواكبا ظاهرة السوق الأسود التي انفجرت فيما بعد مما قعد بتجارتهما قعوداً واضحاً وصديق عبدالغني هو ترزي سوق طابت الأول . فهو الذي علم الترزية الموجودين في السوق جميعاً وعنده نمط خياطة للجلابية نعرفها في طابت . وكثير من الناس يرسلون إليه الجلاليب من الخرطوم وغيرها ليعملها لهم على غير مقياس ففي ذهنه مقياس لا يخطيء لمن يتعامل معه على المدى الطويل والتحية من هنا لرصيفه علي كاركوتلي وفضل علي سلامة وحسن السد والمرحوم عوض دراب وعمر كَبُرُ والطيب الأمين وشبندر وأبو رأس وموسى المبارك وجدو والطيب قسم الله ..

ولصديق عبدالغني مع ابني محمد قصة طريفة . ذلك أن ابني كان عمره حوالي الخمس سنوات وكنا قد جئنا في إجازة إذ كنا نعمل وقتها في نيجيريا وبحكم الصداقة التي حكيتها فيما سبق جاء محمد الصغير لزيارة عمه في الدكان فبادر صديق كعادته باحضار شاي لبن (صاموتي) وشرب الطفل المغترب هذا الشاي السوداني الأصيل الذي لم يذق مثله ولما انتهى من شرب الكوب قال له " صديق جيب شاي ثاني! "

ثم هناك أسرة النزل وهم أصلاً من الجديد وقد جاء عميد هذه الأسرة الهادي النزل إلى طابت من أبي عدارة.

وهي أسرة معروفة بالشطارة في التجارة وقد كان للدكان الذي فتحه أولاد النزل في أبي عدارة شهرة كبيرة ذاعت وامتدت إلى المدن الكبرى حتى إن بعض الناس كانوا يأتون لشراء حاجاتهم من ذلك الدكان الذي كان في قرية أبي عدارة وهي ضاحية من ضواحي طابت . كانوا يأتون لذلك الدكان من مدني والحصاحيصا بل ومن العاصمة . إذ كان البيع فيه بأسعار غاية في الزهادة إلى درجة تدعو للعجب وذلك منذ بداية الستينات وحتى آخرها ثم كان للمقابلة الحضارية والحفاوة التجارية التي يقابلهم بها أولاد النزل أطيب الأثر في نفوس الزبائن . ولقد كان الدكان نفسه غاية في الأناقة والرشاقة والتنسيق وتفوح منه طيوب راقية ويقابل فيه الزبون كما يقابل في القاهرة أو دمشق.

ثم إن عبدالقادر النزل شقيق الهادي انتقل إلى العزازي ويروي لي أنه كان يبيع الزيت هناك ولكنه لم يكن يبيعه على النسق التقليدي بل كان لا يربح في سائل الزيت شيئاً ويبيعه برأس ماله وقد كان يبيع عشرات الصفائح ويكسب الفوارغ فقط بينما لا يبيع تجار الزيت الآخرون شيئاً وقد كسب مكاسب طائلة بسبب هذا الذهن التجاري المتفرد.

ولكن بكل أسف عدى عليه في دكانه وهو نائم في الليل مجرمون وقتلوه رحمه الله .

وفي طابت أسرة كدت أن أنسبها في مكانها إلى الشايقية ولكن ظروفها مختلفة فهم شايقية ولكنهم جاءوا إلى طابت بعد هجرة وربما هجرات مع تطاول الزمن وانقطاع الاتصال بالأصول في الشمال إلى درجة أنهم لا يعرفون المكان الذي جاءوا منه بالتحديد ... وجدتي وجدي لأمي لهم بهم علاقة رحمية قوية.

وتلك هي أسرة طه ود حسين ومن الرجال فيها محمد أحمد طه والطيب طه وحسين محمد سعيد وطه محمد سعيد ومحمد الحسن محمد سعيد (السائح) وحمد السيد محمد سعيد وإبراهيم عبدالحي.

وانظر إلى اسماء طه وحسين ومحمد أحمد ومحمد سعيد ومحمد الحسن وحمد السيد وعبدالحي وهي أسماء لا توجد في بيئة الجزيرة بتاتاً بل هي أسماء شايقية معروفة وأصيلة.

ولقد جاءت الأنباء بأن لهؤلاء الناس أصل في جهة كريمة ولكن لم ينشط أي أحد منهم لتتبع هذه الأسرة لاستقصاء أصلها هناك .

ولا يكتب تاريخ طابت إلاّ ويشار إلى أسرتي محمد أحمد يعقوب وآل يعقوب الذين يسكنون في أقصى غرب القرية ثم اسرة خلف الله وبين الأسرتين اتصال كاد أن يكون امتزاجاً .

وأسرة يعقوب ود حسن من أصل رباطابي وجدهم كان من عمار البلد أصحاب الأطيان والمطامير والرقيق والحفير الذى في أقصى غرب طابت متنازع في من حفره أهو يعقوب أم ابوسن الحمدي .

وأسرة خلف الله دباسين وقد جاءوا إلى طابت منذ مدة قصيرة بعد منشئها ويدل على ذلك موقع منازلهم .

وأشهر أولاد يعقوب محمد أحمد والد الأستاذ الجيلي محمد أحمد يعقوب وصهرهم حامد ود عيسى .

وأشهر أولاد خلف الله هم محمد أحمد خلف الله والطاهر خلف الله وصديق الأمين وإبراهيم محمد خلف الله وأولاد بنتهم آمنة بت خلف الله إبراهيم ود الشوش الرجل الشوش الكريم العطوف وأخوه الكعك الرجل الظريف الذى يعرف الأصول وأخوهم عبدالزبير الطيب القلب وأسرة السمين وخوجلي والعبيد ود ابراهيم وابنه صديق العبيد وجيه الحلفاية المعروف وشقيقه زميلي الدكتور عثمان العبيد الباحث الزراعي الذى استحدث عبر ابحاثه نوعاً جديداً من الذرة أطلق عليه اسم " **طابت**" اكراماً **لمسقط رأسه** وقد أصبح هذا النوع من الذرة مشهوراً جداً في اسواق المحاصيل الآن . وبشير الطيب الرجل الطيب وحاج مضوى .

ثم فنان طابت الأول وفنان السودان أحمد الطيب خلف الله .

وإن لنا جواراً مع أسرة أولاد حمزة الدالي امتد منذ عام ١٩٥٦م إلى الآن وقد اصبح الأن إخاء وقد امتد الإختلاط وتعمق بين الأسر إلى درجة أنني أحياناً أعجب هل نساؤنا اصبحن جعليات من الدامر أم أن نساءهم أصبحن عولابيات من طابت .

حزننا حزنهم وفرحنا فرحهم وحياتنا حياتهم وكل ما يحدث من صغير الأمور وكبيرها في هذه الأسرة أو تلك يكون له أثر ملحوظ في الاسرة الأخرى .

وإلى الآن ما يزال في مخيلتي زواج بت دموك من زوجها الأول خير الله رحمه الله وقد كان ذلك عام ١٩٥٧م وكنا في السنة الأولى في الأولية وقد جاء الجعليون بقضهم وقضيضهم ينحرون الذبائح ويقيمون الليالي الملاح ويتجالدون بالسيطان ويقطع الرجال أيديهم بالسكاكين حماساً وطرباً وأذكر بالتحديد عبدالغني سليمان (الأطرش) الذي قطع يده بالسكين حتى أبيّض الجرح مدة ثم اندفع منه الدم بعد ذلك دفاقاً وقد كان مغنيا الحفل هما ودجانقي وأحمد عطية . وأذكر أن أستاذنا علي بخيت من ود السيد قد جلدنا لما وجدنا في الحفل.

ولا يفوتني أن اذكر إخاء مع أسرة جعلية أخرى منذ وقت قبل الأربعينات وهي أسرة محمد أحمد الحدا د وهم من قرية العبيدية من جهة بربر جاورونا منذ أن كنا في الحلة القديمة قبل التخطيط أو التكسير كما يسميه الناس هنا وقد كان التكسير عام ١٩٥٥م.

ورب الأسرة هو محمد أحمد الحداد ولا أدري لماذا كلما طاف بخاطري تذكرت عنترة العبسي فهو من أشجع الرجال وأعفهم وكان يعمل عتالاً وما رأيت أحداً يودك بعاطفة عميقة ويجبهك بجفاف وشدة كهو . وإلى الآن أذكر عندما لدغتني العقرب وأنا بعد صغير في الأولية أنه جاء وسهر معنا في حنان وقلق ومع ذلك كان هو الذي أجبرني بغلظة على شرب الشاي الثقيل المر المخلوط بالليمون الحامض لإفساد السم.

وإن أنسى لا أنسى مودة زوجته الروضة مع عماتي بنات عيسى كما كانت تسميهما . وكيف أنهن كن يتبادلن الطعام والزيارات حتى بن أخان عبدالباسط عبدالعزيز وهو ابن عبدالعزيز بابكر الرباطابي التجاني الذي كان يمدح:

التجاني يا سيدي تم لي مقصودي

(ألا رحم الله عبدالعزيز بابكر فقد كان دنيا من دنا الخير)

فأخذ الإبن لحن هذه المدحة وعمل عليه أهزوجة يقول فيها:

الروضة بت مختار

جابت ملاحها الحار

بجونا بي الأنوار

وقد كانت تلك إشارة إلى أن عبدالباسط سيصبح شاعراً في المستقبل.

ولما انتقلت أسرة ود الحداد إلى الحلة الجديدة بالقرب من أسرة سليمان الفحل نشأت علاقة أخرى حميمة بين أسرتنا وأسرة سليمان الفحل الذي كان رجلاً كريماً طيب المعشر . ولا أنسى المودة الخاصة التي كانت تربطني بقريبهم عوض سليمان الذي كان يدير دكان سليمان الفحل وقد كانت الخالة السارة صديقة لوالدتي وعماتي.

كما أذكر صداقة قديمة لأسرتي مع أسرة جعلية أخرى هي أسرة ود الرفيق . إذ كانت والدتهم خالتنا نفيسة وأمها المرحومة حبوبة النافشة لهما محبة شديدة لي ولعبد الباسط ونحن أطفال صغار وكانوا يدعوننا (بالجقارين)!

تلك القرية (بعض أهلها)

إستعملت كلمة (بعض أهلها) لأن استقصاء جميع أهلها صعب وشكرا لكتاب الشيخ عبدالمحمود الحفيان رحمه الله (الشيخ عبدالقادر الجيلي حياته وآثاره) الذي سبق في هذا المجال الاجتماعي سبقا بعيدا لا يدرك .

فخارطة طابت الاجتماعية هي كما يلي :-

أولا : الطيبية : واسمهم منسوب إلي جدهم الشيخ الطيب ودالبشير وفروعهم الأساسية هي :-

١- أولاد الشيخ عبدالمحمود ودنورالدائم

٢- أولاد الشيخ عبدالجبار ود نور الدائم

٣-أولاد الشيخ البشير ود الشيخ إبراهيم الدسوقي (الإبراهيمية)

٤- أولاد الشيخ البشير ودعبدالرحمن

ثانيا : الخشماب وهم :-

١- أولاد قسم الله ودمضوي

٢- أولاد إبراهيم درب الديم

٣- أولاد الشيخ (الأمين وحسن)

٤- أولاد البر .
٥- أولاد حسب الرسول
٦- أولاد خوجلي
٧- أولاد زمراوي
٨- الكبراب
٩ - السيداب
١٠- أولاد عوض الكريم عبدالدافع
١١- أولاد عبدالرسول
١٢- أولاد أبوجولة
١٣- أولاد التهامي
١٤. أولاد الروف
١٥ - العولاب وهؤلاء :
أ- أولاد عيسي ودأبو العول ب- أولاد حامد ود أبو العول
ج - أولاد حسن ود أبو العول د- أولاد أبو الضو ود أبو العول
هـ- أولاد (بنات) محمد ود دفع الله ود أبو العول
ثالثا : الجرونة :-
وهذا الإسم لم يكن يقال إلي عهد قريب بل كانوا يعدون جزءا من الخشماب، وهؤلاء هم أولاد : ١- المبارك ود موسي ٢- سليمان ود موسي
٣- محمد ود موسي ٤ - ناصر ودموسي
٥- أولاد الزاكي ٦- أولاد الهماكي
٧- أولاد الصادق عبدالجبار ٨- أولاد الغازي
٩- أولاد ود الحسن
والجرونة من آل موسي ودالحاج لهم خئولة وأصله بناس أبي العول إذ أن جدتهم هي الحرم بنت أبي العول وللجرونة طريقة في الكلام مليحة ومعبرة.
وبناء علي ماورد في كتاب الشيخ آنف الذكر نورد النص الموجود في الكتاب علي صفحة (١٠٨) إذ يقول :-

" وقد كان أول الخشماب قدوما لمنطقة طابت قبل أن تعرف بهذا الإسم هو (عيسي بن أبي العول) الذي كان يقطن منطقة (أم دبيب) حيث كان استقباله للأستاذ الشيخ عبدالمحمود استقبالا حسنا حين قدومه لمنطقة(العفاناب) و(أم دبيب) من (أم طرفاية).

وقد انشرح صدر عيسي بن أبي العول لسيدي الشيخ (عبدالمحمود) واعتقد فيه الصلاح والولاية وكان به حفيا حيث أخذ عليه العهد وجد في الطريق واجتهد فيه حتي صار من كبار المقاديم وكان عونا كبيرا لسيدي الاستاذ في تأسيسه (طابت) وقد كان الاستاذ يجله ويعرف له مكانته بحيث كان موضع ثقة كبري من الأستاذ يستشيره في كثير من أموره . وقد عاش المقدم (عيسي بن أبي العول) حياته كلها في (طابت) حتي مات ودفن بها" انتهي كلام الشيخ عبدالمحمود . هذا وأن أولاد أبي العول ومن ضمنهم عيسي كانوا متطرقين منذ وقت طويل قبل ذلك وكان شيخهم هو الشيخ ودبدر في أم ضبان فلما جاء الاستاذ الشيخ عبدالمحمود إلي المنطقة استبشروا بقدمه وإستأذنوا شيخهم الأول في أخذ الطريقة عليه فأذن لهم بعد أن أثني علي الاستاذ ثناء حسنا وقال لهم إن الطريق كلها مؤدية إلي الله .

والنص الذي أوردناه من كتاب الشيخ عبدالمحمود الحفيان اعلاه فيه شهادة كافية ترتب قدوم الناس إلي طابت ودورهم في قيامها.

وأذكر إلي الآن بعض المجموعات التي ذكرناها في أول هذا الباب كانوا إلي عهد قريب . لم يستقروا في طابت استقرارا كاملا ، فكانوا يأتون إلي طابت ويذهبون عنها إلي (بحر أبيض) بل إن بعضهم كان يعيش حياة رعوية متنقلة ولا تزال في الذاكرة جمالهم وابقارهم وشياههم وكأن الاستقرار لم يطب لهم إلا بعد أن عالجوه طويلا ، بل إن أسرهم لم تستكمل استقرارها بطابت إلا في عهد قريب.

وجميع هذه العشائر الأساسية: طيبة وخشماب وجرونة عشائر جموعية يتصل نسبها ببعضه لكن هناك رواية احادية منسوبة إلي محمد ودالفكي الطيب قريب آل الأمين ودالشيخ يقول فيها أن الخشماب جعليين شاع الديناب من جهة شندي ، ثم إن عيسي ودابوالعول وإخوانه مولودون في البيلاوي وأمهم العازة بنت مالك ود أب روف الزعيم العشائري المعروف وهم بذلك بأمهاتهم رفاعيين جهينة ثم لهم علاقة واشجة بالشيخ عبدالباقي النيل مما يجعلهم من الجهة الأخري كواهلة والية .

وود أب روف هو الذي أقام حي أب روف المعروف بأم درمان القديمة وهو مسمي باسمه إلي اليوم .

لكن هناك أسر عاشت في طابت بعد قيامها بقليل و لم تتحول عنها إلى غيرها.
ونعل من أقدم تلك الأسر أسرة (ودِ خدر) وهي أسـرة محسية مـا يـزال لهـا اقارب في مناطق محس شرق النيل في كترانج والدبيبة والعيلفون وواسي.

وهم في معظمهم أهل جد وعمل وقد امتزجوا بالمصاهرة مع كثير مـن الأسر خاصة أسرتي موسى ود أحمد الكبرابي والشيخ محمد الإبراهيمي.
وعندهم المهارة المعروفة عند المحس على نطـاق السـودان وهـي مهـارة الطبـخ وإلى الآن يمتهن موسى ود خدر وأحمد (كونو) ود خدر هذه المهن ولهما في السوق محلان لعمل الطعام الشهي الجيد.

ولقد كان معلوماً جداً مهارة حبوبة بت حيمودة رحمهـا ا لله (وفيهـا عرق محس) في صنع الطعام وأذكـــــــــر إلى الآن أن (اللحـم الناشـف) أو (السلات) كما كانوا يسمونه إذا صنعته في (الطـاجن) يكـون مضربـاً للمثل في سبكه ومذاقه ومفخرة لمن تصنعـه في مأدبتـه وكـانت تشـاركها في ذلك حاجة عائشة رحمها ا لله وحبوبة زهراء بـت الأعسـر وقـد انتقلـت هـذه المهارة المحسية الراقية إلى رجال من أهل طابت أمهاتهم محسيات وهم عبدا لله الحسن وموسى دفع ا لله والمرحوم وهب ا لله الشيخ محمد وكلهم مضوا بهـذه المهارة إلى غاياتها فأصبحت مهنتهم في الحياة . ومنهم حاجة زينب بت خدر وهي إمرأة صناع كانت تزرع وتتاجر وتربي الأيتام وتقـوم ببعـض المعالجـات البلدية لبعض الأمراض وهي إلى ذلك شجاعة تكاد تكون الوحيدة من النسـاء

التي تقابل الحكيم في ذلك الزمن البعيد برباطة جأش وتعاونه في تسخين الماء وإحضار بعض ما يطلب للمريضة في حين أن الرجال كانوا لا يقوون على مقابلته . وكانت ايضاً تمنع الأطفال من الخوض في مياه الأمطار.

ولا تذكر هذه الأسرة إلاّ ويذكر عبدالله الجارعودو (سينما الزمن داكا) كما يقول أخونا وصديقنا الشاعر أزهري عبدالرحمن أبو شام في ذكرياته الشعرية الفريدة.

الجارعودوا لم يتعلم تعليماً ذا بال . فقد قرأ إلى عند السنة الرابعة الأولية ولكنه كان إنساناً موهوباً أو قل إنه موهبة تمشي على رجلين.

ذكر من زامله في المدرسة الأولية في بداية الخمسينات أنه كان يضرب (الصفارة) بنغمة (الوسيم) في الطابور المدرسي على شكل أفضل مما يسمع في تسجيلها بالإذاعة وهو بعد يافع وله مقدرة على التمثيل والمحاكاة لا تضاهى فقد كان يستطيع أن يحاكي كل الناس الذين يريد محاكاتهم وكل الحيوانات وكان يشترك في بعض الأعمال المسرحية في المدرسة والنادي إلى درجة أنهم ذهبوا به مرة إلى المسرح القومي بأم درمان ولكنه بحسب ما هو معروف من تفلته لم يستقر مضيعاً بذلك على محبي المسرح فرصة نادرة لرؤية فنان متفرد.

وقد كان يحاكي المقريء الشيخ عوض عمر بشكل غير عادي ومداعباته مع عمنا المرحوم أحمد كوكو في ذلك أشهر من أن تنشر.

وقد اخترع لغة يتحدث بها مع أخويه حسن وحسين لا يفهمها غيرهم وكلماتها كلها غريبة على غير نسق معروف.

وهناك أسرة الكندي سكن منها في طابت والدهم وأصهر إلى الشيخ أحمد الشيخ عبدالجبار وولده بابكر أصهر للحسن رد عيسى ود أبو العول والطيب المتزوج من القطينة وكان في طابت عبد المحمود الكندي الرجل المشهود له بخفة الروح - وهم بكرية من قوز المطرق (شندي) وبعد علاقة جديدة لخالنا محمد النور عيسى مع قريبهم الوجيه حسن حاج علي تعرفنا على مدى اعتزازهم بأنفسهم وكيف يعتقدون أن البكرية مقدمون على كل أحد وتجري في ذلك في مجالسهم طرف ومساجلات غاية في الروعة والإيناس.

ثم أسرة الكتم وهم من الأحامدة وسكناهم في قلب القرية القديمة يوضح قدم ارتباطهم بها ولهم علاقة وشيجة بطابت وكان لأسلافهم قدم في الطريقة السمانية.

أما أسرة منصور مناع فهم أصلاً من الكلاكلة ووالدهم كان صائغاً وكان رجلاً قوياً يحكى أنه كان يمسك بالشلن المعدني فيثنيه بين إبهامه وسبابته وعاش فترة من الثراء الواضح وأذكر أنه ختن أنجاله عند الحكيم وقد كان ذلك يعد غريباً جداً في الخمسينات وطلا بيته بالجير الأبيض من الخارج .

وكان لنا مع أبنائه كمال وفتحي علاقة قديمة حميمة ثم إن ابنه عمر منصور كان صديقاً لشقيقي علي سعيد .

هذا وقد تزوج منصور مناع بثلاث نسوة أو يزيد .

ونذكر رجلاً عصامياً حكيماً هو الحاج الطيب الصافي وهو رجل تقي نقي وصاف وهو كاهلي وكذلك جاره الجيلاني وهو رجل أنصارى ملتزم بالدين .

وفي طابت اسرة قديمة جاء زعيمها ليعمل شرطياً .وذلك هو محمد خليفة الصعيل . وهم أصلاً من الكبابيش الذين تربوا في دنقلا ففيهم سماحة العروبة وإتقان الدناقلة . وقد أصبحوا الآن تجاراً ذوى قيمة في طابت ويتعاملون مع الناس تعاملاً فاضلاً كريماً .

ثم إن ناس جنى حمد وهم جعليون أحمداب كانوا في طابت منذ أن كانت تقريباً

فلهم إمتزاج بالخشماب وبالطيبية وتزواج قديم وهم أقرباء ناس ود ابو الكيلك الرجل المعروف الثرى السري الذي كانت ماشيته تسد عين الشمس ولهم بقية في المناقل وهم أربعة رجال إبراهيم وأبوزيد ومبارك (أب

حرق) ومصطفى ومعهم بنو عمومتهم ناس الحاج ود مدني وبينهم مصاهرة بل هم أسرة واحدة .

وعرفوا بصفاء القلب وطيب النفس .

ولا تزال طابت تذكر ابنهم طه الجراري الذي كان وصولاً ظريفاً يبيع الجرائد في الستينات ويوزع معها الطرف والتعليقات الفكهة والذي رحل إلى الحلفاية مع من رحلوا يماثل في ذلك ابن عمته المرحوم جلال زكي . الذي أمه بنت جني حمد وأبوه شيخ زكي ود الشيخ أبوالحسن .

الذي كان لاعب كرة بارع ويحكي لي عنه صديقه بشير البدوي قصة التحامه مع مصطفى حمد مفتش الغيط الذي كاد أن ينزع عنه حواشته لعدم التفاته إليها ولكنه يفاجيء بالمزارع الكسول نشطاً في ميدان الكرة رشيقاً "كالغزال" إذ التقى به مصطفى حمد الذي كان يلعب لنادي العمال في ذلك الزمان . وتركه منذ ذلك الوقت وشأنه .

ومع ناس جني حمد تأتي سيرة ناس الجو وأهلهم في صافية وكتفية كما أن لهم أهل في الترعة الخضراء

وهم أهل بصر ودراية بشئون الكسور والفصول والرضوض التي تحدث في الجسم فهم يجبرونها ويفصدونها ويحجمون من يحتاج لحجامة ويخرجون الفلائت وهم أيضاً قوم تلقائيون سليمو الصدور أهل أنس وبشر وعون .

وفي طابت أسرة مكونة في أساسها من أخوين هما بشير الجيلي وكباشي وهما من ود الماجدي وهم قوم عرب حسان الوجوه وحسان الأخلاق ارتبطت حياتهم بالمسيد وتتلمذوا على الشيخ الجيلي وبرز منهم الأستاذ الجيلي بشير وهو معلم وشاعر وصاحب مشاركة في الشئون الاجتماعية في طابت وما أزال أذكر له عام ١٩٦٤م إبان اندلاع ثورة أكتوبر تقديمه بطريقة درامية لمذكرة البلد للشرطة المحلية وكيف أن المظاهرة اتجهت نحو نقطة البوليس ولما كادت أن تدخل فيها أمسك رجال الشرطة بالبنادق وصَوّبوها بعد أن عملوا حركة عسكرية مخيفة وهنا انفلت الجيلي من صفوف المظاهرة الأمامية وقدم المذكرة ببطولة جعلتنا ونحن بعد صبية صغار نتمنى مكانه .

ولا نزال نذكر ونحن أطفال حبوبة عائشة بت حمد والدة بشير وكباشي التي يقال لها (عائشة الدرويشة) وقد أفهمونا ونحن في المدرسة الأولية أن من تقرأ له على قلمه يفوز في الإمتحان فكنا نتسابق عليها حتى تعزم لنا على اقلامنا .

وعلى ذكر الأسرة المكونة من أخوين نذكر أسرة أخرى من هذا القبيل هي أسرة (أولاد حمد) وهما أحمد ود حمد ومحمد ود حمد وهم من المناصير أقرباء ناس عبدالقادر أبو إدريس واشتغلوا في غالب حياتهم بالحطب واصبحوا جزءاً أصيلاً من مجتمع طابت وكان في بيتيهما تأنق وحضارة

وأثرياء في فترة من الفترات . وقد اتصلت بأسرتنا معهم وشائج مودة عميقة ذلك أننا كنا جيراناً قبل أن نرحل إلى الحلة الجديدة . ثم إنه عندما ولد لأحمد ود حمد ولده الأول بعد بنات كثيرات أسموه خلف الله ولكنهم عملوا دعوة كبيرة وعزموا أسرتنا واستلفوا مني لقب (دوكة) الذي كنت ألقب به خشية أن أموت كما كانت تعتقد أمهاتي وأطلق ذلك اللقب على ولدهم خلف الله وأدخلوه كما أدخلوني تحت (دوكة) الكسرة وأهدت لي أمه التاية هدية وما يزال أثر ذلك طيباً وعميقاً في نفسي .

وعلى ذكر من يعملون في مجال الحطب أحيّ أسرة بشير ود خبير وأسرة حسن محمد خير .

وأحيّ على النطاق الفردي ذكرى أستاذنا المرحوم مبارك رحمة الله جادين الذي ما أزال أذكره عام ١٩٥٨م وقد جاء إلى طابت الأولية مدرساً وهو يلبس الشورت والقميص وهو بعد شاب صغير بهي الطلعة بشلوخه السلّم الواضحة التي تزيد وجهه بهاءً وأصالة وأذكر حماسه وإخلاصه في تعليمنا .

وأحمد إبراهيم كرجوس رجل بناء بنى معظم بيوت طابت القديمة وعند خالي مبارك ورقة تبين تكاليف غرفة بناها له كانت سبعة جنيهات فقط .

وهو إلى حرفته التى يجيدها صاحب نكتة وظرف . حكى لي بعض أصدقائه أنه ذهب مرة إلى المسرح القومى بأم درمان وحضر حلفة غنى فيها صلاح بن البادية أغنية يقول مطلعها " يارب وكتين يقعد براه : قال : " يا أخى نحن ويكة واحدة ما مريحانا في طابت جيت تعملها لينا هنا ويكتين ".

ومرة تغديت معه في منزل عمنا عبدا لله الحسن وكنت وقتها يافعاً مشاغباً فبعد الغذاء جلست على طرف الطبق الأحمر الذى تغطى به الصينية فنظر نحوي ثم قال :

" لتركبن طبقاً عن طبق !"

وليس يذكر الأنس في طابت إلا وتذكر كوكبة من ملوكه على رأسهم عوض محمد أحمد الرفيق (أبرق)

ثم أولاد حجاج علي حجاج وعبدالعال الأمين .

أما عوض فشاب مرح مقبل على الحياة وهو اول من أدخل التصوير في طابت وقد سجلت كاميرته معظم الأحداث المهمة في فترة هذه المذكرات من الأفراح والمناسبات العامة والخاصة فاستديو عوض يُعَدُّ دار وثائق قائمة بذاتها وهو مرجع لكاسيت تسجيلات الفنان أحمد الطيب هذا الى ما يرسله من النكات على البديهة دون لت ولاعجن

أذكر مرة أني كنت أحمل بطيخة ومررت بأبرق فسألني بكم اشتريتها فقلت له إني اشتريتها بخمسة جنيهات وكان ذلك في بداية السبعينات حيث كان ذلك مبلغاً رهيباً فقال لي على الفور :

" بعد أن تأكلوها بكم تبيعوا الجلد والرأس ؟ "

أما علي حجاج فهو قصاص من الدرجة الأولى يمضي الساعات الطويلة وهو يقص ولا يشعر مستمعه بالملل وتغلب على قصصه التواريخ والأشعار وخاصة أشعار جده حجاج ود أحمد وهو يحفظ معظم شعر ابن عمه الذي ساجل الشيخ هاشم مساجلة بديعة إذ يحكي علي أن ابن عمه علي ود أحمد ود حجاج كان في مرة من المرات يبني وهو طالع على حائط فجاء إليه شيخ هاشم وهو غالباً ما يمازحه ويتبادل معه الشعر والأنس .

فقال له : يا عربي عندي لك كلام إذا أجزته أغنيتك عن العمل اليوم إذ سأعطيك ما يجعلك تستريح من عناء العمل .

فقال علي وما ذاك :

فقال شيخ هاشم : (وكان قد عاد لتوه من القهوة ورأى فيها رسماً لفتاة جميلة)

- المولى زانك وأكحلك

فرد علي فوراً : واساك من الحشا أنحلك

هاشم : يا الجاهلة كفلك وحلك

على : كل من رآك صاح وحّ لك
هاشم : قتل النفوس ما بصح لك
على : في نيتى قلت أتأهلك

فضحك شيخ هاشم وقال : يا عربـي تتـأهل لـك صـورة فقـال علـي : يـاعم الشيخ وا لله ماكنت أدرى أنك تصف صورة وأعطاه هاشم كما وعد .

والخشماب معروفون بسرعة البديهة وحسن الرد ويقال أنهم اكتسـبوا هذا الاسم منسوباً إلى جدهم أبوخشوم الذى تغلب على جميـع شـعراء زمانـه فلما فرغ منهم تصدت له زوجة الجان فغلبها فشكت إلى زوجها الـذى جـاء بنفسه ولكن محمد جد الخشماب تغلب عليه أيضاً فقال له الجـان كمـا تقـول الاسطورة : "يامحمد أنت لست لـك خشـم (فـم) واحـد فـأنت لـك خشـوم فأنت أبوخشوم " ومما يحكى عن سرعة بديهتهم أن واحداً منهم لقى صاحبـه في الخرطوم وهو يحمل ساطوراً وقفة وسكين إذ قـد أصبـح جـزاراً مـن الذيـن ينتظرون على الظلط ليذبحوا للناس في المناسبات فقال له بالشعر :

هَمَّلـتَ باجـورك وتبعـت ساطورك

فرد عليه الآخر فوراً :

ما دام الخروف طولـك والرأس والجلد هولك
وعقب بعدين بعصروا لك

فضحكا وافترقا .

وعبدالعال الأمين أمه بتول بت حجاج وهو قـد خـرج مـن لطايت في وقتٍ مبكر وعاش في أم درمان يبيع الفاكهة ويتبادل مع أهل الأنس في البقعـة الفكاهة .

وهو معجب بالمرحوم محمد أحمد محجوب ويحفظ كثيراً من مواقفه وأشهاره .

كما كان صديقا لشاعر الحقيبة الكبير عبدالرحمن الريح يحفظ أشعاره ومفاكهاته مع أصدقائه من شعراء الحقيبة.

وهو أحد مراجع حياة الأستاذ شيخ هاشم عبدالمحمود.

ثم أخونا وصديقنا محمد أحمد محمد عمر (دياب) أو (ماو) كما هو معروف في مصنع قز كبرو الذي إذا قص قصة استقاصها وأرجعها إلي جذورها بطريقة غريبة وهو في ذلك يغرف من معين أهله الكبراب وهم قوم أهل فصاحة وكلام .

وقد كنا ونحن صغار يحكي لنا الحكايات المرعبة عن السحار والبعاتي يحكيها لك ويمثلها وتتمثلها حتي لتختلط بعصبك وشعورك فتتجمد ولا تستطيع حراكا خاصة إذا كانت القصة في ظلام وبعيدا عن البيوت وكنا غالبا بعد هذا السمر المرعب كل واحد منا يعض علي جلبابه وينطلق كالسهم نحو بيت أهله ويحسب أن السحاحير والبعاعيت تعدو وراءه تريد أن تقبضه كما حكي لنا دياب أن أحدهم جري من البعاتي والبعاتي يدركه ثم يتركه يجري قليلا ثم يضع يده المهترئة التي أكلتها الأرض علي رأس الرجل الهارب منه قائلا :-

" والله جرايا كان بتشرب الزيت "

ونتحدث عن أسرة الجرارة وهم من بني جرار رهط موسي ود جلي الفارس المعروف الذي يعرف السودان كله أهزوجته الشائعة :

حليل موسي ياحليل موسي

حليل موسي اللي الرجال خوسة

واشتهر منهم رجلان هما حاج أحمد وحاج عبدالله وهما رجلان شهمان عرفا بالمروءة.

وعمهم الفكي علي وكان رجلا عابدا لازم الذكر وجرد اللالوب حتي إنه كان لايستحمل أن تذكر كلمة (اللالوب) أمامه إذ تدخله في حالة من الإنجذاب وقد رأيت بعض الناس يقولها له فتجحظ عيناه ويتشنج ويصيح كأنه قد صعق بتيار كهربائي .

ومن الأسر التي استوطنت طابت منذ عهد بعيد أسرة سعيد ودالريف وأسرة يوسف مصطفي وأسرة أبوشام وأسرة كاركوتلي وهي أسرة ذات أصول مصرية - تركية وقد عرفوا في طابت بامتهانهم لحرف خاصة كنقش الأختام وأصلاح الساعات والتفصيل والحلاقة وهم أهل دعابة ومرح ومن أوائل من أدخل صناعة الخبز في طابت العم بخيت دراج وهو صهر لأسرة سعيد ودالريف ، ثم كانت قديما في طابت أسرة أبوشوك المعروف بعمل الحلويات الراقية.

وأسرة النيل من الأسر ذات الشأن في طابت وهم قد سكنوا في أم دليبة وصراصر قبل أن يستقروا في طابت نهائيا و مايزال لهم أقارب في أم دليبه وصراصر والعمارة كاسر ، وهم بديرية ولكن بعض أمهاتهم من المنطقة.

والنيل رجل ذكي في تعامله التجاري والإجتماعي وقد كسب ببشاشته ومعاملته الحسنة مع المجتمع ود وإحترام الجميع ، وقد تزوجت بناته من أهم العائلات في طابت فقد تزاوج مع الخشماب والطيبية وال عبدالقادر أبو إدريس وآل أحمد المصطفي الجعلي وهو رجل متفتح الذهن وقد انتبه مبكرا لإنشـــــاء

صيدلية في طابت مما لا بد أن يكون قد عاد عليه بخير وفير . ولأسرته قرابة بأسرة رئيس الجمهورية عمر حسن أحمد البشير مما زادها بريقاً .

خدمة اجتماعية

مرت طابت منذ أن جاء إليها المشروع بتطورات كثيرة من ناحية العمران المدني .

فقد أسست مدرستها الأولية عام ١٩٣٧م في سراي مفتش الغيط الذى بالقرب منها إذ انتقلت إلى السراي من منزل الناظر الشيخ أبوالحسن وقد (تطورت) خلوة القرآن إلى مدرسة كما يقولون . وعجبي أتتطور المدرسة الأولية إلى خلوة أم الخلوة إلى مدرسة أولية وقد جاء طلاب الخلوة حفظة القرآن ليدرسوا (ب بصل) وقد حكى لي عمنا إبراهيم الشيخ محمد أنهم كانوا في المدرسة الأولية المذكورة وجاء فريق تفتيش مكون من مفتش إنجليزي (وجهه كاللهب) ... وتبت يدا أبي لهب (هذه من عندي) ومعه شيخ لطفي رجل التعليم المعروف في رفاعة .

قال إبراهيم شيخ محمد أنّ لطفي طلب إليه أن يقرأ سورة ﴿عم يتساءلون﴾ قال فجعلت أقرؤها حتى وصلت قوله تعالى ﴿يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ...﴾ وخفت أن أقول ﴿ويقول الكافر ياليتني كنت ترابا﴾ إذ جعلت أنظر إلى المفتش الانجليزي ذي الوجه المتلهب بالحمرة وقد كانت لهم سطوة . قال فغضب شيخ لطفي وانتهرني وقال قل ﴿ويقول الكافر ياليتني كنت ترابا﴾ فقلتها بعد أن قالها شيخ لطفي .

(ثم إن ابراهبم شيخ محمد (طالب القرآن الصغير ذاك) قد قاضى فيما بعد الحكومة في الستينات عندما كان بالعزازى وكسب القضية).

ثم لحقت بها مدرسة البنات الأولية بعد مدة ثم الشفخانة والشفخانة البيطرية وإدارة الصحة التي ما يزال جيلنا يذكر البغلين الذين كانا يجران عربتها ولن ينسى أهل طابت أحمد شجر الخيري مفتش الصحة الذي كان يلبس القبعة السميكة والحذاء الثقيل والجوراب البيضاء الطويلة مع الشورت والقميص ويضع نوتة ملاحظاته مع قلمه في أعلى جوربه الطويل ويحوم على الكناسين بدراجته الجديدة النظيفة ابداً فتكون شوارع القرية المحدودة في وقت وجيز نظيفة كساحات البيوت ثم يشرف على دفن جفر المياه الراكدة ورش البيوت بالجامكسين من حين لآخر . حتى إننا لم نكن نعرف الملاريا بشكلها الحالي مطلقاً وقليلا قليلاً خططت القرية عام ٥٤ - ٥٥م وفتحت الشوراع وعوّض من مر الشارع على بيته مما أنشأ حياً جديداً اسموه الحلة الجديدة .

ثم أقيمت بيارة المياه الأمية بالقرب من نادي العمال ووزعت أكشاك مياه عبارة عن مواسير كبيرة ليشرب منها كل حي بعد أن بنيت تحتها أكشاك من الأسمنت و لم توصل المياه للبيوت بعد ، وقد كان توزيع هذه الأكشاك كالآتي :-

واحد للشمال من شارع البلد الرئيس قرب منزل مختار حسب النبي ،

وآخر بالقرب من الجامع بالقرب من منزل شيخ عبدالمحمود

والآخر بالقرب من منزل شيخ عظيم ثم الأخير وهو في مسافة متوسطة بين منزل الكاتب محمد نور أبو دقن كاتب عبدالقادر أبو

إدريس ومنزل عبداللطيف الجزار ، وهو الآن قد احتواه بيت جديد بناه فيصل عبدالقادر أو إدريس.

وقد كانت المياه تباع في هذه الأكشاك الأربعة بالملاليم وقد كانت مصدر رزق لنا في الإجازة نحن طلاب المدارس الوسطي وقد كان متعهد هذه الأكشاك هو عمنا حامد عبدالله.

وقد كان يستأجر الواحد منها بنصف قيمة الإيراد في الأكشاك الصغيرة والمسألة كانت محسوبة إذ لن يصل دخل الكشك الصغير من الصباح إلي المساء إلي أكثر من خمسة عشر قرشا أبدا ، وغالبا ماينقص ولهذا يكون نصيب الواحد منا بعد أن يجرد هذه الملاليم سبعة قروش ونصف علي الأكثر.

أما كشك الأمية فإن إيراده يكون أعلي لأنه مسموح فيه لأصحاب براميل الكارو والأخراج الأخذ منه ولهذا يستأجر من يعمل فيه بريال كامل ولايقتسم مع المتعهد إيراد اليو. ··ن الإيراد سيكون كبيرا وقد درت علي اثنين من هذه الأكشاك الصغيرة وهما الكشك الذي في أرض ناس أبو إدريس الآن وكشك شيخ عبدالمحمود ، وفي الكشك الأول توثقت علاقتي بأحمد القاسم الذي كان يفتح كنتينا في أرضه الملاصقة لمربوع عم محمد إبراهيم شريرة القطب الإتحادي المعروف من الجهة الشرقية إذ كنت أدرس أحمد القاسم دروسا في

اللغة الإنجليزية إذ قد كنت طالبا في ذلك الوقت وإلي الآن مايزال إذا قابلني تكلم معهي ببعض من الكلمات الإنجليزية التي علمتها له.

وقد كانت عائشة بنت عمتي الزهراء ترسل لي بالفطور كثيرا ، ولما انتقلت إلي كشك شيخ عبدالمحمود كانت عمتي الزهراء رحمها الله تدعوني لأفطر في بيتها بعد أن منعت عمتي آمنة رحمها الله من إحضار الفطور من الحلة الجديدة.

وقد كنت غالبا ما أفطر مع الأستاذ المرحوم خوجلي سليمان .. فطور المدرسين في ذلك الزمان وكانت عمتي الزهراء زيادة علي ذلك تصد عني أي عدوان من النساء اللاتي يأتين لحمل الماء من الكشك وما أشد شراسة النساء المتقدمات في السن خاصة وقد كنت أتوق إلي أن أترقي ويعهد إلي بمسك الموارك في كشك الأمية الكبير الذي يوميته ريالا كاملا ولكن ذلك الحلم لم يتحقق إذ كان ذلك دائما من نصيب أخينا عبدالجبار المبارك الأكبر سنا.

وفي الكشك القريب من منزل شيخ عبدالمحمود تعرفت علي ذلك الإنسان الطيب البسيط وتوطدت بيني وبينه مودة خاصة ويحكي أنه ذهب إلي السينما المتجولة التي كانت تعرض فلما في غرفة بيت المجلس وكانت عربة السينما تبث قبل العرض وفي الإستراحة أغان منها أغنية وردي :-

ـــن دابدوك لي زولا مسيكين

ـلا حدا نخله مقرون في البساتين

فأجهش بالبكاء وظل يقول هذا المسكين هو أنا وجعل يبكي حتي رحمه من حوله ، ومعه يذكر الشاعر المغرم مساعد البناء العاشق الذي كانت أشعار غرامه في ذلك الزمان متداولة وهو بنفسه ينشدها دون أن يحكم لها وزنا ولا قافية .

ثم جاءت المدرسة الوسطي التي حكينا قصتها في فصل سابق وقبلها المعهد العلمي ثم المستشفي وخدمات مدنية أخري كثيرة .

كان أبطالها بلا منازع هم :-

الشيخ ودالشيخ أبو الحسن رحمه الله

والشيخ أحمد الجيلي (السني) رحمه الله

والحاج بابكر عبدالقادر دكين رحمه الله

والعم حامد عبدالله أمد الله في أيامه

ولا أذكر من تاريخ الشيخ ود الشيخ أبوالحسن شيئا إذ قد مات وأنا بعد صغير وألمح في أطراف ظلال الذاكرة النساء والرجال وهم يبكونه في مرارة وعاطفة وفقدان عند وفاته عام ١٩٥٨م ، ومازال أذكر الأوراق الملصقة علي حوائط الدكاكين تدعو الناس لتأبينه بنادي الأهلي وقد رووا أنه كان رجلا خيرا عظيما .

أما أحمد الجيلي أو أحمد السني فقد توفي في منتصف الثمانينات وهو رجل نسيج وحده ، كان قصير القامة خفيف الحركة خفيف الروح.

وكان غنيا إذ كانت له أرض مطرية وحواشات في المشروع وعنده جنينة في ضاحية من ضواحي المناقل وهو من أوائل من أمتلك عربة خاصة في طابت بعد الفكي فضل الله ود عيسي والشيخ أبوالحسن ، وكان عضوا في مجلس إدارة مشروع الجزيرة وكان يفوز في ذلك بالتزكية ولقد كان يغرف من الجاه العريض لوالده الشيخ الجيلي ، ولهذا كان شديد الثقة بنفسه شديد الإعتداد بها في ظرف ولطف وخفة وكان يبدو راضيا كل الرضي عن نفسه ، ولقد كان محبوبا في المجتمع لدرجة كبيرة وكان لايرد له طلب في مكاتب الحكومة مما جعل بركة ذلك تعود علي مجتمع القرية كله.

وكان يقبل منه من الكلام ما لو قاله أحد سواه ماقبل منه أبدا. وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

وكان معه في خدمة المجتمع حاج بابكر عبدالقادر دكين وقد توفي في هذه الأيام ، وهو رجل قوي الشكيمة صعب المراس وقد كان رجلا تاجرا وكان ينفق علي كثير من رحلات الخدمة الوطنية تلك من حر ماله في صمت وفي رجولة .

وإذا كان شيخ أحمد رجل (الخاطر) في المكاتب فقد كان حاج بابكر رجل الحسم إذا استعصى الأمر وكانا يكمّلان بعضهما بعضاً ولهذا ما سعدت طابت في الحصول على الخدمات العامة سعادتها في أيام عملهما المشترك لذلك الهدف النبيل .

ثم إن عمنا حامد عبدالله جاء من بعدهما ولو أنه عمل معهما وشارك ولقد كان حامد عبدالله يستعين في الحصول على الخدمات الاجتماعية للبلد بمعارفه الكثيرين وأهله في ود مدني والحصاحيصا والخرطوم إذا لزم الأمر ثم بالقبول الذي تلقاه شخصيته البسيطة المخلصة الكريمة وأشهد أن الرجل بذل جهداً ومالاً ووقتاً كثيراً في ذلك السبيل.المشكور .

الفكي النّور

خطر ببالي أن أرسم صورة قلمية لنمط من أنماط الشخصية القروية ذات البال في مجتمع القرية ورأيت أن الفكي هو تلك الشخصية . والفكي الذي في طابت ليس كصاحب نفس اللقب في مجتمعات أخرى . ففي بعض المجتمعات الأخرى فإن الفكي هو الذي يكتب المحايات ويخرج العمل ويداوي ويأخذ على ذلك شيئاً وقد يقوم ببعض الأسحار ويتعامل مع الجن والشياطين لكن شخصية الفكي في طابت شخصية خاصة جداً صنعتها خصوصية هذا المجتمع الذي هو موضع هذه الدراسة صحيح أن (الفكي) هذا أيضا قد يكتب محاية ويخرج عملاً وقد يداوي ولكنه لا يأخذ على ذلك شيئاً وليس ذلك هو عمله . بل إنه لا ينقطع لهذا العمل بل لابد أن يكون له عمل آخر يكسب منه قوت يومه وغالباً ما يكون زراعته.

فشخصية الفكي شخصية صنعتها الصوفية في إطار مجتمع وسط السودان بوسطيته المحببة الخالية من التعصب والتشنج والطرفية والخزعبلات وببالي صورة الفكي النور جدي لأمي الذي يمثل هذه الشخصية بدرجة متفق عليها في كل طابت . وما رأيت أحداً أجمع عليه مجتمع هذه القرية المتفق على السطح المصطرع الذي يمور بداخله موراً . كذلك الرجل.

ذلك أنه هو كل القرية في رجل واحد. فهو صوفي أخذ الطريق علي الشيخ الجيلي خليفة الشيخ عبدالمحمود ودنورالدائم ووالده هو عيسي ود أبو العول المقدم الأول للشيخ عبدالمحمود المعروف الدور في إنشاء طابت والذي كأن يقول عنه الشيخ عبدالمحمود عيسي ود أبو العول " (الذهب المجمر) وحكي لي بعض من أثق به أن الفكي النور وهو يافع كان يأخذه الشيخ عبدالمحمود ودنور الدائم ويمسح علي رأسه ويبشر والده بأنه شخص مبارك.

حفظ القرآن في مسيد الشيخ عبدالمحمود تحت الفكي فضل المولي المقدابي الذي كان شديدا لم يبق مع فلقته وضربه المبرح سوي عدد محدود من تلاميذ القرآن مما كان لهم ولأسرهم العزم الأكيد في حفظ القرآن مهما كلفهم ذلك .. قيل أنه حفظ القرآن قبل أن يبلغ العاشرة من عمره ، ثم قرأ من بعذ ذلك الفقه والنحو والمنطق والفرائض علي الشيخ الجيلي إذ قد كان الشيخ الجيلي علما من أعلام الفقه والتصوف والعمل فقد رأيت الشيخ الجيلي وأنا طفل أعمل مع والدي في حواشتنا التي بترعة أم دبيب بين ود بلل ووادي شعير رأيته وهو يلبس جلبابا قصـــيرا كالذي يلبسه السلفيون الآن إلي نصف ساقه ويرسل من عمامته عذبة بين كتفـــيه ويكتسي وجهه بلحية كاملة ، ويستطيع الناس أن ينظروا في الصـــورة الوحيدة الـــتي بقيـــت له والـــتي تصـــدق ما علـــق في ذاكـــرتي مـــن هيئته .. حتي أنني أعجب الآن من الفرق الإسلامية الحديثة

وتفرُّقها وتناحرها كأنه ليس بينها وبين بعضها وشيجة اتصال ولا أي شيء مشترك.

واستطرد فأقول إنني حتى بعد أن قرأت شيئاً من كتب الغزالي وابن تيمية عجبت من أمر من يمثلهما هذا العالمان الآن حتى إنني ظننت أن الأتباع ربما لم يفهموا الرجلين أو أن تغييراً في مناهج هذين العالمين قد أحدث عن عمد مما يؤدي إلى هذا النطاح العجيب . فلو قرأت الغزالي تحس أحياناً أنه سلفي أكثر من السلفيين ولو قرأت ابن تيمية وتلميذه ابن القيم الجوزيه تحس أنه صوفي أكثر من الصوفية فما الذي حدث ؟

أعتقد أن المنهج الإسلامي شامل وكبير ويستطيع أن يحتوي كل ذلك وزيادة ولكن أخلاق الرجال تضيق.

أرجع إلى الشيخ الجيلي فأقول إنه كان يمر بحواشتنا راكباً مرة حماره وسائراً مرات على رجليه يحمل في يده آلة من آلات العمل الزراعي ... ويتجاوزنا بعد أن يحيينا ليذهب لحواشته التي تقع غرب حواشتنا ليعمل فيها سحابة نهاره كلّها وهو بعد الخليفة دامت خلافته خمسين سنة من عام ١٩١٣ - ١٩٦٣م وقد خرّج الشيخ عدداً كبيراً من العلماء أشهرهم في طابت ولده الشيخ عبدالمحمود الذي عرف فيما بعد (بالحفيان) وابن أخيه الشيخ محمد سرور الشيخ السماني وابن أخيه الآخر الشيخ صلاح الدين الشيخ السماني.

وقد قامت بين الشيخ عبدالمحمود الحفيان والفكي النور علاقة خاصة جداً مدة حياتهما . وقد امتدت خصوصية هذه العلاقة لتشمل الجيل الثالث إذ أنني ما أزال أفخر بعلاقتي الخاصة جداً مع الشيخ الجيلي الخليفة الحالي الذي زاملته بجامعة الخرطوم ثم بالإذاعة والتلفزيون ثم شاطرته السكن هو وأخاه المرحوم الشيخ السماني عبدالمحمود في الحارة السادسة بالثورة أيام أضن بها على الزمان!
والشيخ الجيلي ما يزال يمازحني قائلاً:
ماذا حدث لمدرستنا ؟
ذلك أنه كان يتمنى ونحن في الجامعة أن نفتح مدرسة بطابت يكون هو ناظرها وأكون أنا نائب الناظر فيها.
وقد حقق الله له ما أراد فأصبح ناظراً ليس لمدرسة في طابت ولكن لطابت كلها وكان له ما تمنى من البقاء بالأرض التي يحب . وهآنذا أتقرب إلى طابت بهذه الوريقات عسى أن تكون عنواناً لما يجيش في خاطري منها.

ثم أعود للفكي النور فأقول إنه شخص ملائكي الخلق سهل طيب النفس ، صبور رجاع للحق لين العريكة وحلو المعشر وكأنما الله تعالى قد خصه بسلامة القلب فلا يكاد يظن بأحد إلاّ خيراً وهو في حياته لا تراه إلاّ في أحد أمور إما عمل أو عبادة أو صلة وإصلاح ذات بين.
وهو كسائر فقهاء طابت لا تفارق المسبحة يده ولا ينفك لسانه رطباً بذكر الله.

لا يكتمل ختان عندنا لم يحضره ولا زواج إلاّ بوجوده والمريض الذي لا يعوده الفكي النور لم يعده أحد ولا أعرف من موتانا أحداً لم يجلس على رأسه ويلقنه الشهادة ويشرف على تجهيزه والصلاة عليه ما لم يكن موجوداً أحد مشايخه فإنه يقدمه للصلاة احتراماً ثم هو بعد ذلك يصلي بالناس أيام المأتم.

وعندما يجلس في أي واحدة من هذه المناسبات عندنا نشعر كلنا أن الأمر قد تم واكتمل وبروك فيه . يمكن أن نختلف على كل شيء ولكننا لا نختلف عليه . كأنه الخط الأحمر الذي تقف عنده المنازعات والكهف الذي تأوي إليه جميع المفترقات لا يجرؤ كبير مِنّا ولا صغير على سماع الراديو في حضرته والذين يدخنون السجائر يطفئونها بمجرد شعورهم بأنه قريب من المكان وقد يُوَبِّخ بعضنا ويضعنا على الطريق الصحيح ولكني ما سمعت أحداً يقول إنه قد قطع عليه السماع أو أزعج كيفه أو جرح شعوره فما يأتي منه لنا نأخذه باجماع تام على أنه مقبول ومرحب به.

ولم يكن ذلك قاصراً علينا ولكني لاحظت أن أبوته أبوة ممتدة للقرية كلها فما رأيته رد في وساطة ولا شفع إلاّ شفع ولا سخط إلا أرضى.

وشيع من المكان الذي ارتبط به وأحبه منذ طفولته من مسجد طابت العتيق مسجد الشيخ عبدالمحمود الذي روي لي أنه عندما أراد الشيخ الجيلي خليفة الشيخ عبدالمحمود ود نور الدائم تجديد بنائه في نهاية الأربعينات وبداية

الخمسينات أغلق فكي النور دكانه وقد كان وقتها تاجراً لمدة ثلاثة أشهر وذهب ليخدم لذلك المسجد المال في غرب السودان.

شيع الفكي من ذلك المكان الذي أحب بعد صلاة الجمعة لعشر خلون من شوال من عام ١٤١٣هـ . وتبعته طابت كلها حتى إن مشيعيه كان اولهم في المقابر وآخرهم في المسجد فما رأى الناس أكثر تابع لجنازة.

المهاجر الأول

كنت في الإجازة الصيفية بين السنة الثانية والثالثة الوسطى في مدرسة طابت عام ١٩٦٢م . عندما علمت أن عمي عبداللطيف فضل الله سيتوجه إلى السعودية وهرعت إليه أودعه فقد كان بيني وبينه علاقة خاصة سببها مودة متبادلة لأنني قد سُميّتٌ باسمه ولقبت بلقبه . لم تكن الهجرة آنذاك أمراً معروفاً في طابت ولم تكن مسوغاتها قد بدأت بعد.

و لهذا فهم كثير من الأهل أن عبداللطيف إنما ذهب لمكة ليحج وأنه سيعود بعد ذلك

وأخبرني أنه عندما جاء ليودع والده المرحوم الفكي فضل الله والذي كان قد أجلسه المرض قال له مبتسماً : " كأنما كتب على رجلك يا عبداللطيف أن سيروا في الأرض " . على أن الخروج من نطاق القرية ومن نطاق السودان لم يكن جديداً على هذه الأسرة فقد بعث الفكي فضل الله ولديه عبدالقادر والأمين إلى مصر نهاية الأربعينات وبداية الخمسينات للتعليم . فقد كان الفكي نفسه رجلا ذا فهم متقدم إذ قد كان تاجراً يذهب للحواضر في ودمدني وأمدرمان والخرطوم ويتعامل مع التجار الأجانب الذين كانوا موجودين في ذلك الوقت في السودان من شوام وأقباط وهنود ويهود وأرمن.

وكان دكانه يشبه ما نسميه الآن بالسيوبر ماركت إذ قد حكى لي بعض الناس أن جهاز العروس كله من ثياب وعطور وعناقريب وسحارة وبشّة كانت تأخذه عربة واحدة من دكان واحد هو دكان الفكي فضل الله. وقد أثرى الفكي فضل الله ثراء منقطع النظير منذ أواخر العشرينات وبداية الثلاثينات فقد كان إلى جانب التجارة مزارعاً ذا أراضٍ شاسعة كما كانت له مع ذلك أبقار حتى قيل إنّه اتخذ راعيين لمواشيه واستأجر عمالاً ثابتين ليعملوا له في زراعته وكان يسكن كل هؤلاء معه في بيوت خاصة في جزء من منزله: الرعاة والعمال الزراعيين وعامل الدكان والترزي وسائق عربته الخاصة.

ولولا أن الرجل قد شتت جهده بالإكثار من الزواج لكان من الأثرياء المعدودين على نطاق السودان. أخبرني والدي واصفاً الفكي فضل الله قائلاً: " لقد كان رجلاً حصيفاً وكان تقديره للأشياء تقديراً حكيماً وكانت له في الأمور نظرة بعيدة. ليس كثير الهذر ولكنه إذا تكلم أحكم كلامه إذ قد كان يديره في ذهنه ويزنه قبل أن يتفوه به .. وكان إلى ذلك أنيقاً وسيما قسيماً جلبابه ورداؤه وحذاؤه غالباً ما تكون من لون واحد بعيد الأناة واسع العقل شديد الدهاء، تقياً محباً لرسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أن بيته كان مركزاً من مراكز نزول المداح وكان بيته كعبة الضيوف شجاعاً يغضب لأي

مساس بأهله " وكان مع ذلك من حفظة القرآن ومن أحذق الرجال بالخط وقد أراني خالي الأمين خطاباً قديماً بخط يده يحير المطبعة والطابعين.

ثم إنني ما رأيت عبداللطيف فضل الله بعد ذلك إلاّ بعد عام من وداعي إياه ذاك . عندما ضج الحي بالزغاريد والصياح وجاءنا الأطفال يلهثون أن عبداللطيف قد وصل.

لقد كان منظراً أسجله للتاريخ عبرة لزماننا الخالي الذي ضمرت فيه العاطفة وجمدت فيه المودة وانعدم فيه الإحساس بالآخرين.

لما وصلنا من الحلة الجديدة وجدنا أن ساحة بيت الفكي فضل الله قد ضاقت على سعتها بالناس الرجال والنساء والأطفال وربات الخدور والأقرباء والبعداء والمتطفلون ليس في المكان موضع لقدم . وكان عبداللطيف وقتها شاباً أنيقاً وما أزال أذكر أنه كان يلبس قميصاً ذا أكمام طويلة سماوي اللون يسلمون عليه من كل الجهات وهو يرد السلام في حماس ويصافح كل أحد ومحظوظ من استطاع من الحاضرين الإمساك بيده في السلام والنساء من قريباته بعضهن يزغردن والبعض يضرب الكواريك والبعض يبكي وأذكر أنه وصل إلى مكان جلوسه في صعوبة بالغة.

ثم بدأ الرجال يتوافدون عليه ولا يسلمون عليه مباشرة بل يرفعون أيديهم بالفاتحة يقرأونها على روح النبي صلى الله عليه وسلم أولاً وليس عندهم أدنى

فكرة أن الرجل ربما لم يمر بالحجاز أصلاً لأنه يعمل في الدمام في المنطقة الشرقية وأنه ربما وصل من الدمام لجدة ومنها للخرطوم.

وقال مرة إن أحداً قدم له (زيارة) كالتي تقدم للحجاج وتستمر الاحتفالات بمقدمه أياماً وليالي تنحر فيها الذبائح وتقدم فيها المشروبات والشاي ويحدث فيها من السرور ما لا يوصف . ويأتي جميع الناس في القرية تقريباً ليسلموا على هذا القادم العزيز . ويجلسون معه الساعات الطوال يسألونه عن البلاد المقدسة وهو يروي لهم في حماسة وهم يستمعون في شغف.

ولا تنقطع الرجل عن بيته إلاّ إذا قطع هو المقام بأن سافر للخرطوم أو اي جهة أخرى والأيام التي يكون فيها غائباً يسألون عنه ويأتي بعض من لا يعرف أنه سافر ليسلم عليه فلا يجده.

وتتقاطر النساء على زوجته وتشم رائحة البن منطلقة في الهواء يعطرها الهبهان الحجازي ويزينها الأطفال الذين كساهم المهاجر الأول حللاً غير مسبوقة الهيئة ولا النوع ولا الجمال وتفوح من البيت روائح العطور الراقية والصابون الفاخر وروائح الملابس الجديدة الخارجة لتوها من قراطيسها وتعمر مجالس الأنس خاصة عندما يأتي كبار الأسرة بتجاربهم وتواريخهم ونوادرهم. وقد تسمع في ذلك المجلس المديح والدوبيت والقصص والروايات.

وفي عودته الأولى رأيت المهاجر الأول في حالة عاطفية هزتني إذ أنه وفي أثناء الاحتفال بختان نجل أخته المرحومة الروضة الوحيد تذكر الروضة

وبدأ يبكي بكاءً مراً وبكت معه أخواته وبنات عمه وارتفع العويل حتى كاد أن ينقلب الفرح مأتماً ثم ثاب الناس بعد ذلك للصـبر واستمرت الاحتفـالات وما أزال أذكر تلك الصبية الوضيئة وهـي ترقـص بـبراءة علـى أنغـام الدلوكـة والبنات يغنين : " لو بعدي بيرضيه. "

رقم الايداع : (١٥ /٩٩)

السيرة الذاتية:

الدكتور عبداللطيف سعيد

الميلاد: طابت ١٩٤٩م

العمل .. استاذ جامعي

المؤهلات :

١- بكالوريوس آداب جامعة الخرطوم - عربي - انجليزي

٢- دبلوم تربية جامعة أحمدو بللو - زاريا - نيجيريا

٣- ماجستير ترجمة - جامعة الخرطوم

٤- حصل علي الدكتوراة في الأدب والنقد بامتياز من جامعة إفريقيا العالمية

الخبرات :

١/ عمل مذيعا باذاعة أم درمان في القترة من ١٩٧٢ - ١٩٧٣م

٢/ التدريس بنيجيريا لمدة عشر سنوات ١٩٧٣ - ١٩٨٣م

٣/تدريس بالمركز الإسلامي الإفريقي - لغة عربية ١٩٩١- ١٩٨٤م

٤/ تدريس مادتي الأدب الإفريقي والثقافة الإفريقية - مركز البحوث والدراسات الإفريقية جامعة إفريقيا العالمية منذ ١٩٩١م .

٥/ رئيس قسم الترجمة بمركز البحوث والدراسات الإفريقية سابقا .

٦/ مدير تحرير مجلة رسالة إفريقيا - جامعة إفريقيا من ١٩٩٢ - ١٩٩٤م

٧/ الأن أستاذ الأدب العربي والنقد بكلية التربية - جامعة إفريقيا العالمية .

٨/ زار بعض البلاد الإفريقية الآتية في رحلات عمل أكاديمية :

نيجيريا - شاد - الكميرون - اثيوبيا - كينيا - يوغندا - ساحل العاج - ليبريا .

٩/ له ديوان شعر تحت الطبع بعنوان الجرح والبلسم

١٠/ ترجم الكتب الآتية من اللغة الانجليزية إلي العربية :

1-The Gezira Schceme - An illusion of Development by Tony Barnette.
2- The Spread of Islam in Uganda- by Abdu Kasozi
3- Islam and Secularism by M.N. Al- Attas.

تصميم الغلاف حسن النر

دار جامعة إفريقيا العالمية للطباعة والن